

مملكة نخشي
في المصادر الأكادية والمصرية القديمة

أ. د. فاروق إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة حلب

مملكة نُخْشِي

في المصادر الأكاديمية والمصرية القديمة

أ. د. فاروق إسماعيل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة حلب

مدخل

نُخْشِي هو اسم مملكة قامت في وسط سورية، بين أواسط القرن الخامس عشر ونهاية الرابع عشر ق.م، وذلك بشكل متعاصر مع ممالك صغيرة وإمارات في شتى أرجاء بلاد الشام.

تعدّ هذه الحقبة التاريخية حقبة متميزة من تاريخ بلاد الشام القديم، حيث انعدمت فيها مملكة أو ممالك كبرى، بل انقسمت إلى كيانات صغيرة ضمن خضم الصراع الدولي (الميتاني، المصري، الحثي) على السيادة فيها. وتعرف هذه الحقبة في الدراسات بتسمية عصر العمارنة Amarna Period، نظراً إلى أن الوثائق الأكديّة المكتشفة في آخت آتون (تل العمارنة) بجنوبي مصر تُعدّ أبرز مصادرها التاريخية؛ إضافة إلى وثائق مصرية قديمة، ومسمارية أكديّة من أوجاريت ومن حتّوشا العاصمة الحثيّة.

ويمكن التعريف بمصادر هذا البحث - بإيجاز - على النحو الآتي:

١ - وثائق العمارنة:

تبلغ وثائق العمارنة ٣٨٢ وثيقة، منها ٣٥٠ رسالة، أرسل معظمها ملوك الممالك الكبرى في الشرق القديم (الميتانية، البابلية، الحثية) وعدد كبير من ملوك ممالك بلاد الشام (الصغرى) وحكامها وزعمائها، وملك الأشيا (قبرص) إلى ملوك من الأسرة الثامنة عشرة الحاكمة في مصر وممثليهم الكبار^(١).

إنها مدونة بالكتابة المسمارية، واللغة الأكدية (اللهجة البابلية الوسيطة)، وقد كانت الأكثر انتشاراً واستخداماً في شرقي المتوسط، بل إن اللغة الأكدية كانت بمنزلة اللغة الدولية، تُحرر بها جميع المراسلات الدولية، كما كان الكتاب والرسل الذين ينقلون الكلام ويترجمون المدون أهم عناصر التواصل والتراسل بين الممالك.

تغطي وثائق العمارنة حقبة قصيرة، تبلغ نحو ربع قرن (نحو ١٣٦٠-١٣٣٥ ق.م)، وهي محفوظة في متاحف عالمية عدة، أبرزها متحف برلين، والمتحف المصري في القاهرة^(٢)، والمتحف البريطاني بلندن. وقد نشرت استنساخات لها في ١٨٨٩-١٨٩٠م، ثم نشرها النرويجي كنودتسن Knudtson بشكل كامل، ثم تتالت بعد ذلك جهود الباحثين فيها، وصدرت ترجمات لها إلى عدد من اللغات الأوروبية^(٣). وتجدر الإشارة إلى الاهتمام المتزايد للباحثين الإسرائيليين وذوي الميول التوراتية بها، في العقود الأخيرة.

٢ - وثائق أوجاريت:

تجري تنقيبات أثرية فرنسية في موقع أوجاريت منذ ١٩٢٧م، وقد كشفت عن نحو ثلاثة آلاف وثيقة دُون معظمها بكتابة مسمارية خاصة (أبجدية) أبدعت في أوجاريت، وبلغة محلية تُعرف باللغة الأوجاريتية. أما البقية فهي بالكتابة المسمارية المقطعية،

وبلغات عدة (الأكدية، السومرية، الحورية، الحثية). وهي محفوظة في متحف دمشق الوطني، ومتحف حلب الوطني، ومتحف اللوفر.

تتألف الوثائق المسمارية المقطعية منها من مجموعات (أرشيفات) وجدت في القصور الملكية في المدينة، ومجموعات خاصة لكهنة وموظفين كبار وغيرهم (RGTC 12/2,XV). وهي رسائل حكومية وخاصة، واتفاقات ومعاهدات، ونصوص إدارية اقتصادية وقانونية، ونصوص أدبية ودينية. وتعود إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م.

نشرها الباحثون الفرنسيون ضمن سلاسل علمية معروفة، مثل: PRU، Ugaritica، RSOU، وثمة مجلة علمية ألمانية تعنى بشكل خاص بالدراسات الأوجاريتية هي Ugarit-Forschungen.

٣ - وثائق ختوشا:

تجري تنقيبات ألمانية في العاصمة الحثية ختوشا منذ ١٩٠٦م. وقد كشفت عما يزيد عن خمسة وعشرين ألف وثيقة بالكتابة المسمارية، واللغات الحثية والأكدية والحورية، وهي محفوظة في متحف برلين والمتحف البريطاني بلندن والمتاحف التركية. وتضم وثائق إدارية ومعاهدات ومراسلات ونصوصاً أدبية - دينية. وقد نشرت ضمن سلسلتين علميتين، يرمز إليهما بـ KUB، KBo.

٤ - الوثائق المصرية القديمة:

هي نقوش مدونة بالكتابة الهيروغليفية، واللغة المصرية القديمة (المرحلة الوسطى)، وجدت في مواقع عدة، وتعود إلى ملوك السلالة الثامنة عشرة، ولاسيما القرن الرابع عشر ق.م.

إنها تمثل نصوصاً تاريخية، وحوليات تروي بشكل مفصل أعمال كل ملك خلال سني حكمه، بشكل مرتب متسلسل تاريخياً. ومنها نص معاهدة السلام المصرية - الحثية المدون باللغتين ؛ المصرية القديمة والحثية. وهي منشورة - بشكل عام - ضمن كتاب بريستد BAR.

أما الدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث فتقتصر على فصل ضمن كتاب للباحث الألماني هورست كلنجل عن تاريخ سورية القديم، صدر قبل أربعة عقود من الزمان، وهو:

Horst Klengel: Geschichte Syriens im 2. Jahrtausend v.u.Z. Teil 2(Mittel- und Südsyrien). Akademie-Verlag , Berlin 1969 , 18-57.

يقدم الباحث فيه عرضاً لمصادر تاريخ المملكة، والمراحل الأساسية لتاريخها. ويؤكد أن هناك العديد من الأسئلة المتعلقة بتاريخها مازال بلا جواب (GS II 56). وهو بحث متميز في أوانه، ولكنه يحتاج إلى إعادة النظر، بسبب ظهور معطيات جديدة مستخلصة من وثائق اكتشفت فيما بعد، وبفضل ترجمات أدق لنصوص قديمة، وتحليلات وآراء جديدة فيها؛ ولاسيما في وثائق العمارنة. وسنشير إليه في متن هذا البحث بمختصر عنوانه (GS II).

أما البحوث العربية فتقتصر على ذكر اسم المملكة وبيان إطارها الجغرافي العام. ولذلك اخترنا هذه المملكة موضوعاً للبحث. وسنعتمد على دراسة ما يتوافر من وثائق عن تاريخها، حتى الآن، لاستخلاص ما يمكن عن تاريخها القديم. وقد مهّدنا لذلك بهذا المدخل، وبالحدِيث عن الإطار التاريخي العام في المنطقة، وصراعات القوى الكبرى، وطبيعة علاقات ممالك بلاد الشام وصلتها بها، نظراً لأهمية ذلك في تحديد مكانة الجزء ضمن الإطار الكلي لحركة التاريخ. وقد أرفقنا بالبحث مصوراً يعين على استيعاب الأحداث، كما رأينا أنه من المناسب عدم إقبال متن البحث بتوضيح الأسماء الحديثة للمواقع الحضارية القديمة المعروفة، والمواقع التقريبية لغير المعروفة، فأفردنا

لها جدولاً خاصاً في نهاية البحث. وقد سلك البحث منهج استقراء نصوص الوثائق وتحليلها، والربط بين الأحداث الحاصلة في إطار جغرافي واحد، وبيان التعاصر في أحداث المنطقة عامة.

الوضع التاريخي العام المحيط بمملكة نُخْشِي

تُشكّل الحقبة التي قامت مملكة نُخْشِي خلالها (نحو ١٤٥٠-١٣١٠ ق.م) جزءاً أساسياً مما يعرف في الدراسات الأثرية الحضارية بالعصر البرونزي المتأخر. وهو عصر وفير بالمصادر الأثرية المادية والكتابية المكتشفة، مما يساعد على إضاءة الوضع التاريخي العام آنذاك.

ويبدو من خلالها أن الحقبة شهدت تحالفات وصراعات، وتميزت بالتباين الواضح في موازين القوى السياسية القائمة. وقد كانت تلك الموازين دائمة التغير بين الممالك العظمى، من حيث امتداد النفوذ وتقلصه، وتغير الولاء وطبيعته. وتحول التحالفات إلى صراع عظماء ملوك الممالك الخمس القائمة وتنافسها، مع تعاونها أحياناً^(٤).

وسنلخص فيما يأتي أهم الأحداث في تاريخ تلك الممالك، التي تفيد في دراسة تاريخ مملكة نُخْشِي، وفي بيان أسباب التطورات والتغيرات فيه.

١ - المملكة المصرية

نشأت مملكة نُخْشِي خلال حكم تحتمس الثالث (المنفرد) في مصر (١٤٥٨-١٤٢٥ ق.م). وقد عرف باهتمامه بالجيش وتنظيمه، ووجّه إلى بلاد الشام وميتاني سبع عشرة حملة خلال عهده، منها ثلاث حملات تُعدّ من جملة الأحداث التي مهدت لظهور نُخْشِي، وهي:

آ- معركة مجدو التي جرت في مطلع عهده (١٤٥٧/١٤٥٨ ق.م)، وخاضها ضد حكام وأمراء في بلاد الشام بزعامة حاكم قادش، وأسفرت عن إلحاق

الهزيمة بهم والقضاء على طموحهم بالتخلص من النفوذ المصري، وبعقد تحالفات مع حكام في شمالي سورية (BAR II § 408ff).

ب- الحملة الثامنة (١٤٤٧ ق.م) التي كانت أبرز حملاته. وقد خاض خلالها ثلاث معارك متميزة، في سنزر، ووعن، وكركميش (BAR II § 581ff). وقد حققت الحملة أهدافها، وتغلغل جيشه في مناطق مملكة ميتاني المجاورة لغربي نهر الفرات.

ج- الحملة العاشرة (١٤٤٥ ق.م) التي توجّه خلالها لقمع تمرد مدعوم من ميتاني. ويذكر أن المتمردين كانوا "متوحشين" اتحدوا بزعامة أمير ميتاني. وقد هزمهم في معركة في أرينا، وغنم غنائم كثيرة (BAR II § 497ff).

أما ابنه أمنتب الثاني (١٤٢٥-١٤٠١ ق.م) فقد كانت حملته الوحيدة إلى المنطقة في العام الثاني من حكمه، لقمع تمردات وقعت في وادي العاصي، ووصل الفرات أيضاً. وقد سجلت أحداث هذه الحملة على لوحة في معبد الكرنك، جاء فيها: "إن جلالته عبر ممر نهر أرنث (العاصي) في ذلك اليوم، كقوة مونتو^(١)، ورفع سيادته يده أمراً برؤية نهاية الأرض...". ثم يذكر أنه وصل إلى مملكة نيا، وهناك علم بأن سكان مدينة إيكاثي قد تأمروا على الحامية المصرية، وأسروا أفراداً منها، فسار إليها، وعاقب المتمردين، وأنفذ الحامية. ثم سارت الحملة من هناك حتى وادي الفرات (BAR II § 487ff).

وفي عهد ابنه تحتمس الرابع (١٤٠١-١٣٩١ ق.م) تجدد قمع التمردات السورية في مطلع عهده، ثم انتهج سياسة جديدة، إذ تحالف مع مملكة ميتاني الحورية، وصاهر ملكها أرتنما الأول (نحو ١٤٠٠-١٣٨٠ ق.م) (EA 29)، وتمّ في هذا السياق تنظيم الحدود المشتركة بينهما في سورية، وقد بقيت ثابتة خلال العقود التالية. وقد كانت حدود مناطق السيادة المصرية تمتد في المناطق الساحلية، أكثر من الداخلية، وتشمل

والمفتشون والرُّسُل يتجولون، ويصدرون التوجيهات، وينقلون الأوامر، ويحصلون الضرائب.

لقد وفرت أجواء السلام حركة تجارية نشطة وازدهاراً اقتصادياً، وتحققت المصالح المتبادلة، خلال نحو نصف القرن. ولكن السنوات الأخيرة من عهده شهدت نشاطاً حثياً في شمال سورية، وبروز خطر العفيرين (الخبير) في المناطق الساحلية^(٨). ترافق مع بدء الإهمال المصري وازدياد استغلال المندوبين والمبعوثين، فبدأ كثير من الملوك والزعماء يعيدون النظر في مسألة الولاء لمصر.

وبانتقال الحكم في مصر إلى **أمنحتب الرابع** (١٣٥٢-١٣٣٦ ق.م) تحول الحكم من سلطان إلى فيلسوف، أو داعية سلام وعدل. وبعد سنوات قليلة تركز جلّ اهتمامه على نشر عبادة آتون الذي أعلنه في العام السادس من عهده إلهاً واحداً للبلاد. وتلقب باسم جديد (أخن آتون)، وقرر بناء عاصمة جديدة، بدلاً من طيبة، هي آخت آتون (تل العمارنة) وانتقل إليها بعد إنجازها خلال سنتين.

اصطدم أخناتون بمواجهة من الكهنة الذين كانت معابد الآلهة الكثيرة تفيدهم اقتصادياً أكثر، وتوقفت ضرائب معابدهم المفروضة على التجارة مع بلاد الشام، كما تضررت بلاد الشام بسبب إهمال القصر الملكي المصري لشؤونها، لأن أخناتون نذر على نفسه ألا يبرح عاصمته^(٩).

وضمن هذه الأوضاع برز دور المنافقين للملك، وانتشرت الرشوة والفساد الإداري، بل ظهر في البلاط من صار يخطط لإزاحة الملك، مثل المدعو توتو. وكانت أوضاع بلاد الشام انعكاساً لذلك كله، ويبدو أن من فقد امتيازاته ومكاسبه في البلاط المصري صار يمارسها في بلاد الشام البعيدة، حيث أسرف المندوبون والمبعوثون وغيرهم في التصرف الفردي، ولم يعودوا صلة وصل، بل يسهمون في تأليب قوى على أخرى، ومساندة من يستفيدون منه، ولا يوصلون صورة حقيقية عن الأحداث التي تحصل في

بلاد الشام. ولذلك سارت المملكة نحو الانهيار بدءاً من العام الثاني عشر من عهده (١٣٤١ ق.م)، كما تضررت مملكة ميتاني كثيراً من هذا الوضع، وانقطعت العلاقات الحسنة بعد سنوات قليلة من بدء حكم أمنحتب الرابع.

ثم حكم **سمنخ كارع** (١٣٣٥-١٣٣٢ ق.م) ومات في آخت أتون، وبعده أعاد **عنخ آمون** (١٣٣٢-١٣٢٢/١٣٢٣ ق.م) الحكم إلى طيبة، ولكنه كان طفلاً فتولت المؤسسة الكهنوتية الحكم عملياً، وانصرف الكهنة إلى استعادة نفوذهم ومكاسبهم، ثم حكم **آي** فترة قصيرة، وكان آخر ملوك هذه الأسرة هو **حورمحب** (١٣٢٢-١٢٩٥ ق.م) الذي نجح في إجراء إصلاحات إدارية داخلية متميزة. ثم حكمت أسرة جديدة (التاسعة عشرة) كان ثالث ملوكها **رمسيس الثاني** (١٢٧٩-١٢١٣ ق.م) أعظم ملوك مصر القديمة، وفي عام حكمه الخامس خاض معركة قادش الشهيرة مع الحثي مواتلي (١٢٧٥ ق.م) ثم وقّع في عام حكمه الحادي والعشرين معاهدة السلام مع الحثيين التي دوتت على جدران معبد الكرنك (١٢٥٩ ق.م).

٢ - مملكة ميتاني الحورية (١٠)

أنشأ المهاجرون الميتانيون خلال القرن السابع عشر ق.م إلى مناطق الجزيرة السورية وطور عابدين مملكة جديدة مع أبناء جلدتهم الحوريين المقيمين هناك من قبل، ودخلت المملكة في صراع مع المملكة الحثية في بلاد الأناضول التي كانت تريد التوسع جنوباً وشرقاً.

تمكن الحثي مورشيلي الأول، في مطلع القرن السادس عشر ق.م، من إبعادهم عن مناطق وادي الفرات التي يتم عبورها إلى شمالي سورية. ولكن مملكته أصيبت في العقود التالية بجمود تام في مجال السياسة الخارجية، بسبب الصراعات الدموية الداخلية حول وراثة العرش. ولذلك استعادت ميتاني نفوذها هناك، وخضعت لها حلب خلال القرن الخامس عشر ق.م.

تمكن الملك الميتاني بَرْتَرْنَا الأول (نحو ١٤٧٠-١٤٤٠ ق.م) من مدّ نطاق حكمه غربي الفرات حتى البحر المتوسط وسهول شمالي حمص، حيث قامت عدة كيانات سياسية يحكمها حكام محليون ميثانيون أو تابعون لميتاني.

وقد ذكرنا أن تحتمس الثالث تغلغل في الأراضي الميتانية ودمرها ونهبها (١٤٤٧ ق.م)، ثم تتالت حملاته حتى كانت الأخيرة (١٤٣٨ ق.م) التي قمع خلالها ثورة مدعومة من ميثاني، نشبت في تونيب وقادش بدعم ميثاني (BAR II § 529ff.).

وبعد حكم منتال قصير لثلاثة ملوك (نحو ١٤٤٠-١٤٢٥ ق.م) حكم في ميثاني الملك سوشنتر (نحو ١٤٢٥-١٤٠٠ ق.م) المعاصر لأمنحتب الثاني. وقد نجح في تحقيق أقصى اتساع للمملكة بين أربخا في الشرق وأوجاريت على البحر المتوسط في الغرب، وبرز شأن عاصمته وشوكاني الواقعة عند منابع نهر الخابور.

استمر الصراع الميتاني - المصري حول السيادة على سورية الشمالية والوسطى حتى عهد أرتتما الأول (نحو ١٤٠٠-١٣٨٠ ق.م) الذي عاصر تحتمس الرابع ثم أمنحتب الثالث، وبدأت مرحلة السلام، وتنظيم الحدود، والمصاهرات وتبادل الهدايا. ووقفت القوتان معاً في وجه الأطماع الحثية. وكانت مملكة نَحْشِي آنذاك خاضعة للسيادة الميتانية. واستمر ذلك في عهد شُتْرْنَا الثاني (١٣٨٠-١٣٦٥ ق.م)، ثم شهدت المملكة اضطرابات بعد موته، لأن الحثيين كونوا تياراً معادياً للتحالف الميتاني - المصري ضمن البلاط الميتاني، ودبروا مؤامرة اغتيال وريث العرش أرتشمارا ليصل تشرتا الموالي لهم إلى الحكم.

ولكن تشرتا (١٣٦٥-١٣٣٥ ق.م) انقلب ضدهم بسرعة، وأعاد توطيد العلاقات مع مصر بشكل أقوى من ذي قبل، ثم عاصر تشرتا كامل عهد أمنحتب الرابع / أخناتون. ويتضح في رسائل العمارنة أنهما كانا - أول الأمر - حريصين على استمرار التحالف، ولعبت الملكة الأم تي دوراً إيجابياً في ذلك، كما إن اقتران الملك المصري

في مطلع حكمه بأرملة أبيه تادو خبا - التي يرى باحثون أنها نفسها حملت الاسم المصري نفرتيتي - شكّل سنداً متيناً لتحالفهما.

ولكن الوضع تبدل فجأة، وبدأت العلاقات تفتت، ثم انقطعت قبيل انتقال أختاتون إلى عاصمته الجديدة، وفسح ذلك المجال أمام الحثيين للتفرغ للقضاء تدريجياً على مملكة ميتاني. وفي هذا السياق الزمني بدأ يبرز دور الأمير الحثي شوبيلوليوما الأول، الذي أضحى ملكاً بعد ذلك بقليل (١٣٤٣-١٣٢٣/١٣٢٢ ق.م) وراح يستعيد أمجاد المملكة الحثية.

بدأت ميتاني تضعف رويداً رويداً، وكان ذلك ينعكس على الممالك الخاضعة لنفوذها في شمال سورية ووسطها. ومن أهم أسباب ذلك النزاعات الداخلية ضمن البلاط الملكي الميتاني، ونشاط آشور في الشرق، وحملات الحثي شوبيلوليوما الساحقة في الغرب، وأبرزها "الحرب الحثية - السورية الأولى" ١٣٤٣ ق.م، و"الحرب الحثية- السورية الثانية" ١٣٤٢-١٣٣٩ ق.م اللتين شكلتا منعطفاً بارزاً في تاريخ الممالك السورية، حيث سيطر الحثيون على معظم مناطق سورية الشمالية والوسطى.

اضطربت ميتاني بتأثير هذا الوضع، ولم تكن في وضع يؤهلها للتحرك، بل صارت محاصرة بخصوم يقتربون منها. آشور من الشرق، والحثيون من كركميش. وبتأثير ذلك اغتيل تشرتا على يد أحد أبنائه، وقام شترنا الثالث (ابن أرتتما الثاني الذي كان قد تمرد، وأعلن حكماً ميتانياً مستقلاً في تنيذ) بثورة يدعمه الآشوريون فيها، واحتل العاصمة وشوكاني. ثم استعادها شتي وازا المدعوم من الحثيين، بعد تعاونه مع شوبيلوليوما ومصاهرته له.

كانت مناطق مملكة ميتاني في أواخر القرن الرابع عشر ق.م مقتصرة على مناطق مثلت الخابور، وفيها عاصمتان؛ وشوكاني في الغرب، تنيذ في الشرق. ثم اختفى

دورها في سورية الشمالية والداخلية، ولذلك سهل على الحثيين فرض نفوذهم على الممالك القائمة هناك.

٣ - المملكة الحثية (١١):

كان تليبينو، آخر ملوك المملكة الحثية القديمة يحكم في أواسط القرن الخامس عشر ق.م، وقد نجح في إنهاء مسلسل الأحداث الدموية الداخلية في القصر الملكي، وأصدر قانوناً للفصل في الخلافات حول وراثة العرش، وأعاد الاهتمام بالجيش والحياة الدينية، وضعفت في عهده الصلات مع شمال سورية تجنباً للصراع مع المصريين الذين كانت حملاتهم تصل إلى وادي الفرات.

ثم مرت المملكة بمرحلة جديدة (المملكة الوسطى) دامت نحو قرن من الزمان، وتفصلها غير واضحة تماماً. حكم خلالها خمسة ملوك، أشهرهم **تودخاليا الثاني** (نحو ١٣٨٥ ق.م)، الذي حارب الحوريين بضرارة وأجلى عدداً كبيراً منهم إلى عاصمته، كما أرغم حلب على العودة إلى السيادة الحثية.

تمزقت مناطق المملكة الحثية في آخر هذه المرحلة، ونشبت ثورات عدة في الأطراف ضد الملك **تودخاليا الثالث** (نحو ١٣٥٣ ق.م). فاستغل الحوريون ذلك، وعبروا الفرات واحتلوا المناطق الجبلية، وتقلصت المملكة الحثية إلى حد كبير. وفي هذه الأثناء بدأت مصر تسعى إلى عقد صلات مع مملكة أرزاوا الساحلية الجنوبية، وتعود إلى هذه الفترة رسالتان من العمارنة (EA 31,32) نقرأ فيهما أن أمحتب الثالث طلب يد ابنة ملك أرزاوا، وأرسل له هدايا ثمينة، كما استلم رسالة مدونة بلغة أرزاوا.

ولكن يبدو أن علاقات أرزاوا ومصر لم تستمر، لأن شوبيلوليوما ابن الملك الحثي بدأ يدير الحملات العسكرية، ويقمع التمردات، وقد وفق في ذلك واستحق وراثة العرش وإعادة أمجادها، وبحكمه بدأت مرحلة تاريخية جديدة تدعى (المملكة الحديثة) التي دامت نحو قرنين.

شهدت فترة حكم شوبيلوليوما (الأول) ١٣٤٣-١٣٢٣/١٣٢٢ ق.م تطورات سياسية وعسكرية مكثفة في مملكة نُخْشِيَّ وسائر ممالك سورية الشمالية، سنعرضها بالتفصيل ضمن تاريخ نُخْشِيَّ. كما حصل خلالها انهيار مملكة ميناني، وتوثق العلاقات الحثية - البابلية، واضطراب الأوضاع في مصر بعد موت توت عنخ آمون الذي لم يخلف ابناً يرثه.

وتقع في هذا السياق التاريخي الرسالة المفاجئة التي أرسلتها أرملة الملك المصري إلى شوبيلوليوما، وهو يحاصر مدينة كركميش، تطلب فيها منه أن يرسل إلى مصر أحد أبنائه ليتزوجها. وقد لبي شوبيلوليوما طلبها، بعد التحقق من صحة نواياها، وأرسل أحد أبنائه، ولكنه قُتل قبل وصوله إلى البلاط المصري، ويرجح أن ذلك تم بيد رجال حرضهم القائد العسكري المصري آي الذي استلم الحكم بعد ذلك.

لا تفيد مصادر عهد ابنه ووريثه أرنو وندا (الثاني) الذي حكم نحو ثلاث سنوات فقط، بأخبار عن الأوضاع في شمال سورية. ثم حكم ابن ثان له هو مورشيلي الثاني، حيث انهارت مملكة نُخْشِيَّ خلال عهده.

٤ - المملكة البابلية (١٢)

كانت بلاد بابل خلال المرحلة موضوع البحث خاضعة لسيادة الكاشيين الذين هاجروا في أواخر القرن الثامن عشر ق.م من سفوح جبال زغروس الوسطى إلى شمالي بلاد بابل، بقصد العيش والعمل في مجال الزراعة وتربية الحيوان. تشكلت مجتمعات ومستوطنات خاصة لهم بمرور الزمن، وتقبل سكان بلاد بابل وجودهم بينهم، مستفيدين من خبراتهم الاقتصادية، وتعمق اندماجهم في المجتمع البابلي.

احتل الملك الحثي مورشيلي الأول بابل في ١٥٩٥ ق.م، وتعاون معه الكاشيون. وعندما اضطرت الملك الحثي إلى الانسحاب والعودة إلى بلاده بسرعة، سلم حكم البلاد للكاشيين.

تذكر قائمة الملوك البابلية أن ستة وثلاثين ملكاً كاشياً حكم في البلاد، وذلك خلال مدى زمني بلغ نحو أربعة قرون ونصف (١٥٩٥-١١٥٤ ق.م).

حكم منهم الملك كارا إنداش في أواسط القرن الخامس عشر ق.م، وعاصر حملات المصري تحتس الثالث إلى وادي الفرات، وسيّر سبع عشرة حملة ضد مملكة ميتاني، وصل في آخرها حتى كركميش. ويبدو أنه أدرك ضرورة عدم الدخول في صراع مع مصر، بل التحالف معها، فأسرع إلى هناك للقاء تحتس الثالث وتقديم الهدايا له، رغبة في توثيق العلاقات. ثم توطدت علاقات المملكتين بإرساله إحدى بناته إلى مصر لتكون زوجة للملك.

وفي عهد خليفه كدشمان خربي (الأول) (نحو ١٤٠٠-١٣٧٦ ق.م) تحسنت العلاقات المصرية - الميتانية، ولم يؤثر ذلك على علاقاته الحسنة مع مصر. أما كوريكالزو (الأول) (نحو ١٣٧٥-١٣٦٥ ق.م) فقد انهمك بالأعمال العمرانية في عاصمته الجديدة، وتحسين أوضاع الشعب الاقتصادية، كما عني بتمتين العلاقات مع مصر أكثر، وأرسل أيضاً إحدى بناته إلى البلاط المصري زوجة للملك، ورفض عرضاً قدمه له أمراء عدد من مدن بلاد الشام للتعاون ضد النفوذ المصري في بلادهم.

ونعلم من مراسلات العمارنة أن ابنه كدشمان إنليل (الأول) (نحو ١٣٦٤-١٣٥٠ ق.م) أرسل خمس رسائل إلى أمنحتب الثالث، يسأل فيها عن مصير أخته، ويطلب الزواج من مصرية أيضاً، ولكن الملك المصري رفض ذلك بشكل قاطع، ولكنه لم يبخل عليه بالذهب للمحافظة على العلاقات.

ثم تولى حكم بابل بورنا بورياش (الثاني) (نحو ١٣٤٩-١٣٢٣ ق.م) وعاصر بدء ضعف حكم الأسرة الثامنة عشرة في مصر، خلال زمن أمنحتب الرابع، ونهوض المملكة الحثية على يد شوبيلوليوما، وانهايار مملكة ميتاني. فتابع العلاقات الحسنة مع مصر، وكتب إلى توت عنخ آمون معبراً عن استيائه من اعتراف مصر باستقلال

آشور عن ميتاني. وقد أدرك الملك الآشوري آشور أبلط (الأول) (نحو ١٣٦٣ - ١٣٢٨ ق.م) خطر ذلك الموقف، فحسن علاقته مع بابل، وأرسل ابنة له لتكون زوجة لملكها.

ثم انشغلت بابل بصراعات داخلية، فتوالى على حكمها ملكان خلال سنة واحدة (١٣٢٣ ق.م)، وبدأ التدخل الآشوري في شؤونها حتى اضطرت إلى عقد اتفاق حدودي مع آشور تنازلت فيه عن مناطق حدودية. ولكن الصراع البابلي - الآشوري ظل مستمراً عقوداً أخرى من الزمن (١٣).

ممالك بلاد الشام، وموقفها من الصراع الدولي:

تلقي مصادر البحث ضوءاً وافياً على مراحل متصلة، أو منقطعة أحياناً، من تاريخ ممالك صغيرة أو إمارات قائمة آنذاك في شتى مناطق بلاد الشام، عدا القسمين الأوسط والجنوبي من شرقي نهر الأردن (١٤).

ويلاحظ أن معظمها لم يكن قادراً على الاستمرار في الوجود زمناً طويلاً اعتماداً على قواها الخاصة، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً. ولذلك كانت مضطرة إلى حليف ترتبط به بالولاء طلباً للدعم والحماية.

ويمكن القول إنها كانت - عدا القائمة في فلسطين - محتارة في اختيار الحليف، وكان من الطبيعي لديها الولاء لمصر أو ميتاني، حسب الموقع الجغرافي وما اتفق عليه خلال فترة السلام المصري - الميتاني (النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م). ولكن تغيرات كبيرة في موازين القوى الدولية الكبرى ظهرت بدءاً من أواسط القرن، وتمثلت بثلاثة أمور أساسية، هي:

- توقف الاهتمام المصري بشؤون بلاد الشام.

- ضعف ميتاني، وبدء سيرها نحو الانهيار.

- بدء المملكة الحثية الحديثة، على يد شوبيلوليوما الأول.

أدى ذلك إلى انتهاء المعادلة السابقة في توزع الولاء بين مصر وميتاني، وباتت الممالك وحيدة إزاء الجيش الحثي الضخم. ومرت فترة صارت خلالها من أجل عدم الاستسلام له، ولكنها اضطرت، واحدة تلو الأخرى، إلى الإذعان للسيادة الحثية، والقبول بمعاهدات جائزة يفرضها الملك الحثي شوبيلوليوما الأول، ثم مورشيلي الثاني. وكانت تتخلل ذلك تمردات وثورات لا تحقق نتائج مهمة، إذ تقمع ويختفي أثرها.

نحن أمام نحو خمسة وعشرين كياناً سياسياً متميزاً في بلاد الشام آنذاك. وكان معظمها يشغل رقعة جغرافية صغيرة تقتصر على مدينة مركزية (عاصمة) ومناطق محيطة بها، وقد كانت نُخْشِي موضوع هذا البحث أوسعها. يمكن تقسيمها إلى سبع مجموعات ذات أطر جغرافية موحدة، وغالباً ما اشتركت في أقدارها ومصايرها، وتماتلت التطورات فيها، وذلك على النحو الآتي:

١ - الممالك الساحلية (السورية):

تشمل أوجاريت، سيانو، أمورو، أرواد. وقد اعتمدت هذه الممالك على الحركة التجارية البحرية، وحركة العبور التجارية (ترانزيت) بين شرقي المتوسط ومصر والآشيا (قيرص)^(١٥). كما كانت غنية بمواردها الذاتية بحكم مناخها وطبيعتها الجبلية، واشتهرت بمصنوعاتها النسيجية والمعدنية. وكان التبادل الاقتصادي الكثيف، ولاسيما عبر ميناء أوجاريت، يترافق بتبادل التأثيرات الحضارية أيضاً. كانت أوجاريت من أغنى مدن المنطقة عامة، وقد تمكن ملوكها الثمانية من إرضاء المصريين والحثيين حفاظاً على ثروات مملكتهم وازدهارها.

وكانت سيانو إمارة صغيرة قائمة في مناطق جيلة الحالية، بين مملكتي أوجاريت وأمورو، أما أمورو فكانت مركزاً أساسياً للإدارة المصرية، ويقع في عاصمتها صُمر مندوب ملكي مصري، ولكن العلاقات مع مصر ساءت في آخر عهد ملكها عبدي

أشرتا فقضى المصريون عليه (نحو ١٣٤٥ ق.م) وعينوا ابنه عزيرو الذي انقلب على مصر أيضاً، بعد فترة قصيرة، وغدا حليفاً أساسياً للحثيين. كانت أرواد ذات وضع خاص بحكم كونها جزيرة، وهو الذي أهلها للقيام بدور عسكري بحري متميز في الصراع الدولي^(١٦).

٢ - الممالك الساحلية (اللبانية):

تشمل جبلاً، بيروتا، صيدونا، صوري. ولم تكن هذه الممالك قوية عسكرياً، بل اكتسبت أهميتها من موقعها البحري والحركة التجارية في موانئها. كانت جبلاً أهمها، وتتبع لها مدن مهمة، مثل بطرونا، أميا، شيجاتا. وقد عانت كثيراً من خصومة جارتها الشمالية والشرقية أمورو، وتدخلها في شؤونها. ظلت جبلاً وفيه لمصر، تطلب منها وضع حد لاعتداءات أمورو، ولكن دون جدوى. أما بيروتا فقد كانت أقل أهمية، وتعاونت مع جبلاً في صراعها مع أمورو، وخسرت بسبب ذلك استقلالها. وفي الجنوب كانت هناك مملكتنا صيدونا وصوري المتنازعان، بسبب تعاون صوري مع جبلاً في مواجهة تحالف صيدونا مع أمورو.

٣ - الممالك الساحلية (الفلسطينية):

تشمل عكو، أشقلونا، خزّة. ظلت وفيه مرتبطة بمصر، وبعيدة عن أطماع الحثيين. وبرزت بينها خزّة كمركز أساسي للإدارة المصرية في فلسطين (بلاد كنعان).

٤ - ممالك سورية الشمالية:

تشمل أشتاتا، حلب، موكيش. وهي واقعة بين الفرات وساحل المتوسط (أوجاريت). كانت في الغالب موالية للميتانيين، وخضعت لاحتلالهم، وانتشر فيها الحوريون - الميتانيون بكثافة. ثم بدأت منذ أواسط القرن الرابع عشر ق.م تتحول إلى السيادة الحثية.

٥ - ممالك سورية الوسطى:

تشمل نَحْشِي، نيا، تونيب، قطنا، كنزا/قادش. لعبت الدور الأبرز في الصراع الدولي على سورية، بسبب موقعها الجغرافي المتوسط بين الممالك الكبرى. كانت في البدء موالية للميتانيين، عدا كنزا/قادش، وتأثرت بالحملة المصرية المتجهة عبر أراضيها نحو وادي الفرات. وقد شهدت هذه الممالك حروباً كثيرة وتحولات متسارعة وخضعت للسيادة الحثية، وجرت في قادش عاصمة بلاد كنزا واحدة من أهم معارك تاريخ الشرق القديم.

٦ - ممالك سورية الجنوبية:

تشمل بلاد أب (دمشق)، بلاد جارو (الجزلان الجنوبي). لقد ظهرت أهمية دمشق في القرن الرابع عشر ق.م؛ كحليفة موالية لمصر، ولكنها لم تصمد إزاء حملات الحثيين وأعدائهم (قادش، أمورو) ومعاداة اشتدت في حوران، وأطاع بعض حكم مدن بلاد عمقي (البقاع).

أما بلاد جاور فقد كانت تضم - على غرار نَحْشِي - عدة مدن متحالفة، تحت هذا الاسم، وذلك في مناطق شرقي طبريا. وقد خضعت للسيادة المصرية أيضاً.

٧ - ممالك فلسطين الداخلية:

كان في فلسطين عدد كبير من المدن المستقلة تحت حكم "حاكم" أو "زعيم"، مثل: خازور، مجدو، شكيم، جزري، اوروسليم، لاكيشا. وقد كانت كيانات صغيرة موالية لمصر في الغالب.

تعدّ أبرزها آنذاك مدينة مجدو التي كانت تسعى إلى لمّ شمل حكم المناطق القريبة منها، وكذلك البعيدة مثل قادش، رغبةً في تحقيق الاستقلال عن النفوذ المصري، كما في معركة مجدو ١٤٥٨/١٤٥٧ ق.م. وقد عانت من جراء ذلك ولم تحقق طموحها.

الإطار الجغرافي لمملكة نُخْشِي:

يصعب رسم حدود دقيقة للمملكة، ولكن يمكن القول - بشكل عام - إنها نشأت في المناطق السهلية والبادية المتصلة بها شرقاً، بين أطراف مدينتي حلب وحماة، وبين غربي وادي الفرات وشرقي وادي العاصي (راجع المصور). وبذلك تكون نُخْشِي قد جاورت مدناً تاريخية وممالك مهمة قائمة آنذاك، مثل: حلب، إيمار، قطنا، تونيب، نيا، موكيش.

وثمة مصادر كتابية (أكدية، حثية، مصرية) عدة تفيد بهذا الإطار الجغرافي لها، لعل أهمها هو قائمة الأمكنة التي اكتشفتها بعثة سويسرية بإدارة ريكه Ricke في مطلع سنة ١٩٦٤م في الفناء الكبير لمعبد الأموات لأمنحتب الثالث في الأقصر، مدونة على قواعد تماثيل للملك (١٧).

تضم المجموعة الأولى منها (١٧) اسم مكان، يمكن قراءة (٠) منها، وهي - بالترتيب: س ن ج ر، ن ه ر ن، .. (خمسة أسماء مهشمة) ...، ق ر ق م ش، خ رب، ن ج س، ب ر ج، ت ن ن ب، أ م ت، خ ت، ي ر ث و، (اسمان مهشمان).

والاسم العاشر ن ج س (وفي نقوش تالية تاريخياً ن و ج س) هو الصيغة المصرية للأصل الذي يدون بالكتابة المسمارية - المتميزة بالتعبير عن الحركات - بصيغة نُخْشِي Nu-ha-aš-še، وكتب المقطع الأخير بالعلامة ñ أيضاً. ويرد الاسم نفسه في نصوص أوجاريت الأبجدية بصيغة ن غ ث (١٨).

ونلاحظ في هذا الترتيب (٩-١٣) خطأً جغرافياً واضحاً، يمتد من خ ر ب (حلب) حتى أ م ت (حماة)، وبينهما ن ج س (نُخْشِي) (١٩).

ويمكن أن نستخلص من ذلك عدة أمور مهمة، هي:

١ - وضوح التخوم الشمالية والغربية والجنوبية لمملكة نُخْشِي (راجع المصور ١).

٢ - القرب الشديد بين حلب وُنُخْشِي، إذ تذكران بشكل متتال.

٣ - من المرجح أن حلب لم تكن مركز كيان سياسي مستقل، بل مركزاً دينياً أساسياً؛ كما كانت في ظل مملكة إبلا ومملكة ألالاخ من قبل، وفي ظل مملكة أرفاد من بعد. ولذلك لا نجد لها ذكراً في مراسلات العمارنة، ولعله السبب في حرص الحثيين الدائم على احتلالها، وعندما احتلها شوبيلوليوما الأول، عيّن ابنه تلبينو أول الأمر كاهناً لإله الطقس في حلب، ثم ملكاً عليها.

٤ - ربما كان هناك تحالف متين يبلغ درجة الاتحاد عند ظهور الأخطار الخارجية، بين نُخْشِي وحلب وبرجا وتنب، ولذلك ورد الحديث في النصوص الأكديّة والحثية عن "ملوك بلاد نُخْشِي" و "ملوك بلدان نُخْشِي".

أما في جهة الشرق فتمتد منطقة سهلية انتقالية، ثم البادية السورية. ولذلك كان إطار المملكة هناك مفتوحاً، لا حدود ثابتة له. وكان السكان يمارسون زراعة الحبوب في مساحات صغيرة، ويربّون قطعان المواشي، ويتنقلون بين السهول والبادية، حسب الظروف المناخية والمتطلبات الاقتصادية. وثمة إشارة في السيرة الذاتية للملك الحثي خنوشيلي الثالث تبين سهولة الهروب من نُخْشِي إلى بابل. ولكن يبدو أن حدودها عند منعطف الفرات نحو الشرق نُظمت مع بلاد أشتاتا / إيمار في عهد الحثي تلمي شروما؛ كما يبين نص معاهدة له (GS II 18,24).

وكانت نُخْشِي في الجهة الجنوبية متاخمة لمملكة قطنا آخر الممالك المتحالفة مع الميتانيين، قبل بدء مناطق الانتداب المصري. كما يبدو أن جزءاً صغيراً منها - في الزاوية الجنوبية الغربية - كان يتاخم أراضي مملكة كنزرا / قادش.

نشير إلى أن عدداً من رسائل العمارنة (EA 160,161,164-167) يوضح القرب بين مملكتي نُخْشِي وأمورو. ولكن مدينة تونيب وأراضي مملكتها الصغيرة كانت تفصل بينهما، ولذلك تردد في عدد من تلك الرسائل قول عزيزو ملك أمورو " وهو (العدو الحثي) موجود الآن في بلاد نُخْشِي، والطريق إلى مدينة تونيب لا يستغرق سوى مسير يومين فقط" أو "الطريق من مدينة تونيب إلى حيث هو موجود لا يستغرق سوى مسير يومين فقط" (EA 165,167).

كما تجدر الإشارة إلى أن المطابقة بين نُخْشِي، ولعش، الإقليم الذي ضمّه زكور ملك حماة الآرامي إلى حكمه في أواخر القرن التاسع أو مطلع الثامن ق.م، مقبولة جغرافياً ومن حيث التبدلات الصوتية الطارئة على صيغة الاسم (٢٠).

مراحل تاريخ مملكة نُخْشِي:

إن أقدم وثيقة تاريخية تذكر نُخْشِي / ن ج س ككيان سياسي متميز، هي قائمة الأمكنة لأمنحتب الثالث، ثم يتكرر الحديث عنها كمملكة في عدد من رسائل العمارنة التي تعود إلى مطلع عهد أمنحتب الرابع. أي أن أخبارها المبكرة تذكر في مصادر أواسط القرن الرابع عشر ق.م، وليس قبل ذلك (٢١). ولكن ثمة رسالة ضمن رسائل العمارنة تلك تشير بوضوح إلى أن مملكة نُخْشِي قامت خلال عهد تحتمس الثالث؛ أي قبل ذلك بنحو قرن، وذلك ضمن سياق استرجاع ما حصل سابقاً.

كانت تلك المنطقة من قبل موطناً لقبائل أمورية، انتقلت إليها في زمن بعيد من مواطنها الأم حول جبل مارتو أو أمورو (البشري)، المتصلة بها من جهة الشرق. ولذلك يمكن القول إن أراضي منطقة نُخْشِي كانت خلال القرن الثامن عشر ق.م - حيث قامت كبرى الممالك الأمورية في الشرق القديم عامة - خاضعة لمملكة يَمُخَد (حلب) في الشمال، ومملكة قطنا في الجنوب الشرقي (GS II 33). ويبدو أن الوجود الحوري بدأ

يزداد فيها بعد دمار ماري أقوى الممالك الأمورية (١٧٦ ق.م)، وذلك على غرار انتشارهم في مملكتي حلب وألّاخ، مع استمرار الحكم الأموري فيهما.

ويرى الباحثون أن مناطق شمالي بلاد الرافدين شهدت بعد ذلك (القرن ١٧ ق.م) انتكاس المقومات الاقتصادية للعيش، وتأثر سكان مناطق الأطراف الجبلية بذلك، واضطر قسم منهم إلى تغيير نمط حياته، والبحث عن مجال للعيش في السهول الزراعية^(٢٢). وضمن تلك الظروف هاجرت قبائل جبلية حورية جديدة من موطنها الأم إلى مناطق طور عابدين والجزيرة السورية، وعُرفت باسم ميثاني الذي كان على الأرجح اسم أبرز قبائلها، أو اسم أحد زعمائها البارزين. واستطاعت في أواخر القرن السابع عشر ق.م أن تجمع حولها القبائل الحورية التي كانت تقيم هناك من قبل، وأنشأت مملكة ميثاني التي سميت البلاد التابعة لها باسم خاني جَلْبَت أو نهرينا.

ثم أدى التجاور الجغرافي والأطماع التوسعية - بمرور الزمن - إلى دخولها في صراع مع المملكة الحثية في بلاد الأناضول. وكانت نقطة التقاء أطماع المملكتين هي مناطق سورية الشمالية، ولهذا تركّز صراعهما حول السيطرة على وادي الفرات واحتلال حلب.

ولكن حملة الحثي مورشيلي الأول المفاجئة في مطلع القرن السادس عشر ق.م إلى بابل واحتلالها، ثم الانسحاب منها بعد شهور ولدت اضطرابات داخلية، وأبعدت الحثيين عن شمال سورية نحو قرن ونصف. ولذلك تفردت ميثاني بها، لأن ملوك مصر أيضاً انهمكوا بتحرير بلادهم من الهكسوس، ثم إعادة تنظيم شؤونهم الداخلية وتحقيق الازدهار. ولذلك لا نعرف حملات لهم إلى وادي الفرات - قبل تحتمس الثالث - غير حملة واحدة قادها تحتمس الأول في نحو ١٥٠٠ ق.م.

يمكن تقسيم تاريخ مملكة نُخْشِي اصطلاحياً إلى عدة مراحل، حسب حكامها وملوكها - الذين نعرف أسماء خمسة منهم - وعلاقتها بالقوى الكبرى في الشرق القديم، إلى المراحل الآتية:

١ - نشأة المملكة (عهد تاكو، نحو ١٤٥٠ ق.م)

إن ازدياد حركة الحملات المصرية إلى داخل سورية ووصولها إلى وادي الفرات الأوسط، بدءاً من عهد تحتمس الثالث، كان يشكل خطراً على بلاد نُخْشِي التي تربط بين وادي العاصي والفرات. ولكنها لم تؤد إلى تغييرات أو تأثيرات في مناطقها الشرقية التي كانت تمرّ بها، كما إنها لم تثر مشكلات للمصريين، ولم تلق اهتماماً منهم، ولذلك أغفلوا ذكرها والحديث عنها.

ولعل السبب في ذلك هو أنها كانت لا تستأثر باهتمام المصريين اقتصادياً من ناحية، ومن ناحية ثانية كان سكانها لا يشكلون قوة سياسية أو عسكرية ذات شأن، بل يعيشون حياة شبه بدوية، وينتقلون إلى البادية المجاورة عند اقتراب الجيش المصري، ثم يعودون بعد عودته إلى ديارهم وبيوتهم البسيطة.

ولكن يبدو أن المصريين تنبّهوا إلى الأهمية الاستراتيجية لتلك البلاد عامةً، فصاروا يفكرون بضرورة إيجاد حليف تابع لهم مدعوم منهم، لممارسة الرقابة في تلك المنطقة الشاسعة التي تشكل جبهة مقابلة للمناطق الميتانية. وأدركوا أنها مهمة تتطلب أن يقوم بها زعماء محليون. ولذلك تم (في نحو ١٤٥٠ ق.م) اختيار أحد الزعماء القبليين هناك، ليكون "ملكاً" عليها، وهو تاكو الذي لا تقيدنا المصادر بأيّة معلومات عن شخصيته ومكانه وأعماله السابقة، وغير ذلك.

إن معرفتنا بتاكو هذا تقتصر على خبر عنه في نص يعود إلى ما بعده بأكثر من قرن من الزمن. وهو نص رسالة مكتشفة في آخت أتون (تل العمارنة) مرسلّة من ملك نُخْشِي آنذاك، وهو أدو نيراري، إلى الملك المصري أمنحتب الرابع (EA 51). يقول فيها له (٢٣):

إلى الشمس، الملك، سيدي، ملك بلاد مصر. هكذا يقول أدو نيراري خادمك:

انظر ! عندما جعل مَنْخ بِيَا ملك بلاد مصر، جُدُّك، تاكو جَدِّي ملكاً في بلاد نُخَشِّي؛ وضع الزيت على رأسه، وقال ما يأتي: (هذا هو) الذي جعله ملك بلاد مصر ملكاً، ووضع له [الزيت على رأسه]. لا أحد [سوف...]. أعطاه..... الآن،.....
(بقية الوجه الأمامي للرقيم مهشمة، ومن ثم القسم العلوي من الوجه الخلفي أيضاً)
و..... تاكو جَدِّي..... والآن يا سيدي...

..... وملك بلاد خَتِّي إليّ [كتب بخصوص عقد تحالف] .

سيدي ! [لقد رفضتُ] الرُّقْم والمواثيق، و [مازلتُ خادم] ملك بلاد مصر، [سيدي] .

والآن، ليت سيدنا [يأتي] إلينا، وسوف [نعيد البلدان] لسلطته. و..... إلى سيدنا. فليت سيدنا يخرج إلينا (هذه) السنة. لبيتك لا تهمل (ذلك). ستجدهم أوفياء في خدمة سيدي حقاً. وإن لم يرد سيدي المجيء (شخصياً)، فليُرسل سيدي واحداً من مستشاريه مع قواته ومع عرباته..... سيدي..... سيدي.

سنعود لاحقاً إلى الحديث عن ملك نُخَشِّي، مرسل هذه الرسالة في نحو ١٣٤٠ ق.م. وما يهمننا هنا تأكيده على أن تحتمس الثالث (مَنْخ بِيَا) ^(٢٤) كان قد عيّن جَدّه تاكو ملكاً على نُخَشِّي، وأقام بتلك المناسبة مراسيم تنصيب رسمية شهدت عملية سكب الزيت على رأسه كتعبير رمزي عن شرعيته. كما إن الرسالة تؤكد بشكل غير مباشر على نظام الحكم الوراثي في المملكة.

ومن المرجح أن السطور المهشمة في وجهي الرقيم ذكرت أموراً مهمة أخرى، لعل أبرزها التذكير بحسن العلاقات، والحماية المصرية للمملكة آنذاك. ويأتي هذا - بعد نحو قرن - بهدف المقارنة وحضّ الملك المصري على دعمه ضد الخطر الحثي الذي يشير إليه.

إننا لا نعرف أي خبر آخر عن تاكو وعهده، ولابد من مصادر جديدة توضح أوضاع المملكة الناشئة وعلاقتها، وفترة حكم تاكو.

٢ - نُخْشَى تحت السيادة المِيتَانِيَّة (نحو ١٤٢٥ - ١٣٤٤ ق.م)

كانت آخر حملات تحتمس الثالث (١٤٣٨ ق.م) موجهة لقمع تمرد في قادش وتونيب بدعم مِيتَانِي. وكان الملك المصري قد تجاوز آنذاك السبعين من عمره، (راجع: BAR II, p.214)، وتفرَّغ في أواخر عهده للاهتمام بالشؤون الداخلية، وإنجاز أعمال عمرانية في الكرنك وغيرها. أما خليفه أُمْنَحْتَب الثاني فقد اقتصر محاولته تثبيت الوجود المصري في وسط سورية على حملة عامه الثاني (١٤٢٤ ق.م).

استغل الملك المِيتَانِي الجديد سوستتر هذا الإهمال المصري، واستطاع توحيد مملكته المضطربة من جديد، وقد ذكرنا أنه حقق أقصى اتساع جغرافي في تاريخ مملكته. وكان من مظاهر الوضع الجديد خضوع نُخْشَى، كغيرها من ممالك سورية الشمالية، للسيادة المِيتَانِيَّة.

مع بدء مرحلة التحالف المصري - المِيتَانِي في مطلع القرن الرابع عشر ق.م تمَّ تنظيم الحدود بينهما، وظلت نُخْشَى في الجانب المِيتَانِي حتى نحو ١٣٥٠ ق.م، واستقرت الأوضاع وشاع جو من السلام والازدهار.

لم تكشف التنقيبات الأثرية عن شواهد كتابية من هذه المرحلة بعد، ولذلك لا نستطيع إضاءة جوانب من تاريخ نُخْشَى، والمنطقة، بشكل عام. ولكن يبدو أن الحثيين كانوا يتحيتون الفرص المناسبة للتدخل أو التغلغل الجزئي في شمال سورية ومناطق وادي الفرات القريبة منهم، بل يحاولون إيجاد موالين لهم في الإطار الشعبي أو الرسمي، ضمن المناطق المِيتَانِيَّة الأساسية أو الخاضعة لسيادتهم.

ويمكن في هذا السياق الاستفادة من نص حثي يشير إلى أحداث حصلت آنذاك في شمال سورية؛ على الرغم من أن النص يعود إلى مرحلة تاريخية لاحقة. إنه نص معاهدة أبرمها تلمي شروما الحاكم في حلب مع الملك الحثي موائللي، حيث نقرأ في مقدمتها التاريخية استعادة لأحداث سابقة حصلت قبيل استلام شوبيلوليوما العرش الحثي، منها أن سكان بلاد أشتاتا على الفرات ونُخْشِي طالبوا الملك الميتاني بحق السيادة في مدن ومناطق حدودية مع حلب، فاستجاب لطلبهم، وأقر لهم بذلك في وثيقة مختومة. ثم فعلوا الأمر نفسه مع الملك الحثي ختوشيلي الثاني (٢٥).

ويرى كلنجل أن عدم ذكر حاكم معين، بل الإشارة إلى سكان (أبناء) أشتاتا ونُخْشِي يمكن أن يكون دليلاً على اعتماد نظام حكم لا مركزي، غير وراثي، في بلاد نُخْشِي آنذاك (GS II,32). ولكننا نخالف رأيه لتعارضه مع طبيعة الحياة البدوية التي كانت سمة القسم الأكبر من بلاد نُخْشِي. ولوجود دليل مضاد يعبر عن الحكم الوراثي في رسالة أدو نيراري التي عرضناها من قبل. ونعتقد أن الغاية من ذلك هي التعبير عن إجماع القبائل المتعددة في مملكتي أشتاتا ونُخْشِي.

لقد ظلت نُخْشِي في أواخر هذه المرحلة ذات حكم محلي تحت السيادة الميتانية الشكابية. ولكن القوى الكبرى الثلاث كانت تمر بمرحلة عصبية، فقد كان الملك تشتارتا يعاني من الخلافات الداخلية، ويحاول دون جدوى المحافظة على التحالف القديم مع مصر التي انهمك ملكها أمنحتب الرابع بنشر أفكاره الدينية الجديدة، بينما كانت المملكة الحثية تمر بمرحلة من التفكك وازدياد التمردات فيها، ولاسيما تمرد الكشكيين في الشمال، وكان الملك العجوز تودخاليا الثالث يعتمد على ابنه الأمير شوبيلوليوما في إدارة الحروب المنفرقة للحفاظ على مملكته التي بدأت تتفكك رويداً رويداً.

٣- نُخْشَى وَحَمَلَاتِ الْحَثِيِّ شَوْبِيلُولِيوما الأول (١٣٤٣-١٣٢٣ ق.م) (٢٦)

لم تخضع نُخْشَى، خلال هذه المرحلة، للسيادة الميتانية ولا الحثية بشكل حقيقي، بل ظلت تحت وطأة استقرار جيوش الملك الحثي شوبيلوليوما في أراضيها، وهي غير قادرة على التخلص منها، كما لا ترضى بوجودها تماماً.

يمكن القول بدايةً أن ظهور شوبيلوليوما الأول كان إنقاذاً للأوضاع في المملكة الحثية، لأنه كان شخصاً متميزاً بقدراته. وتفيد نصوص عهده بأنه كان محارباً بارعاً قاسياً مقداماً، ينتقل من ساحة حرب إلى أخرى، ورجل دولة ناجحاً، وحاكماً عادلاً (٢٧).
خبر الحياة العسكرية وفنون القتال والخطط الحربية، منذ أن كان أميراً يوكل إليه أبوه (تودخاليا الثالث) قيادة حملات جيش المملكة.

ولذلك عندما تولى عرش الحكم، بات الأقوى بين حكام الشرق القديم عامّة، وتركز اهتمامه على تصفية الحسابات القديمة مع المتمردين خلال عهد أبيه في جهات المملكة المختلفة، وإنهاء مملكة ميتاني العدو التقليدية منذ قرون، واستغلال الإهمال المصري لمناطق نفوذها في بلاد الشام وإخضاعها. وقد تمّ له ذلك خلال فترة قصيرة نسبياً، ولذلك أحدث تغييراً واضحاً في مجرى التاريخ السياسي للمملكة الحثية، وعُدّ مؤسس المملكة الحثية الحديثة (٢٨).

والمصادر الكتابية التي تعود إلى عهده، وتتطرق إلى بلاد نُخْشَى هي الأوفر عدداً، وتبلغ إحدى وعشرين وثيقة بالكتابة المسمارية، واللغتين الأكديّة والحثية، اكتشفت في مواقع متباعدة، هي آخت أتون (العمارنة) أوجاريت (رأس شمرا) ختّوشا (بوغاز كوي) وهي أكثر المصادر غنى بالمعلومات عن المملكة، وعن أربعة من ملوكها، وهم: شروبيشي، أدو نيراري، تكيب شري، تيتي. ومن ثم فإن معلوماتنا عن هذه المرحلة البالغة عشرين عاماً تفوق ما نعرفه عن المراحل الأخرى من تاريخ المملكة الذي امتد نحو قرن ونصف.

افتتح شوبيلوليوما عهده بالتوجه إلى العاصمة الميثانية وشوكاني، عبر جبال كشياري (طور عابدين) الوعرة، وعلى الرغم من أن الحملة أخفقت في تحقيق هدفها، فقد نبّهت حكام المنطقة بشكل عام إلى بدء فصل جديد من الصراع، وخلقت نوعاً من الاستنفار والتهيؤ فيها. وكان الملك الميثاني تشرتا في وضع حرج، بعد أن يؤس من محاولاته تحريك الحليف التقليدي له؛ أي مصر.

بدأ شوبيلوليوما يستعدّ لحملة كبرى إلى الممالك السورية المرتبطة بميثاني. ووجه حملة تمهيدية بقيادة لُبْكَو، عبر خلالها بلاد نُخْشِي، إلى بلاد كنزا الحليفة، بل وصل حتى بلاد عمقي. وتعرف هذه الحملة بـ "الحرب الحثية - السورية الأولى" (١٣٤٣ ق.م). ويبدو أن شَرُوبِشِي ملك نُخْشِي آنذاك رحّب بالمحتل، وحدثت أعمال نهب للمصالح الميثانية أو لأنصارهم. أراد تشرتا الانتقام منه وردعه عن التحول إلى التحالف مع الحثيين، ووجّه إليه جيشاً لتأديبه، ولذلك أسرع شروبيشي في إرسال رسول لطلب المساعدة من القوات الحثية المرابطة عند ضفاف الفرات، وتستعدّ أصلاً للهجوم، فكان ذلك مبرراً ودافعاً أقوى لاندفاع الجيش الحثي لحماية نُخْشِي وإبعاد الجيش الميثاني.

كانت بلاد نُخْشِي واسعة، بالمقارنة مع الأطر الجغرافية للممالك السورية الأخرى. كما إنها لم تكن موحدة، بل تضم زعامات قبلية قد تتفرد بمواقفها وتختلف عن العاصمة نُخْشِي، وقد تبدل تحالفاتها بسرعة. ولذلك فإن ولاءها لميثاني لم ينته إلا بشكل تدريجي.

تغلغل الجيش الحثي مرة أخرى في أراضي ميثاني المركزية، ووصل العاصمة وشوكاني، مما أثار نُخْشِي، أو قسماً منها، من جديد، وعبرت عن استيائها بدعم الجيش الميثاني، فسار إليها الجيش الحثي وأخضعها وهرب الملك شروبيشي.

في الفترة تلك كان ملك آخر من ملوك نُحْشِي، على الأرجح في مكان آخر ضمن البلاد، يستشعر خطورة الأطماع الحثية على سادة المنطقة التقليديين، ميثاني ومصر، وهو أدو نيراري الذي لاحظ عدم إمكانية العون الميثاني فكتب إلى ملك مصر بشكل عاجل الرسالة التي عرضناها من قبل، حيث ذكره بالعلاقة الوثيقة القديمة، وأكد استمرار ولائه لمصر، وأنه رفض عرض الملك الحثي بإبرام معاهدة وتحريها كتابياً على رقم كنوع من التأكيد على الالتزام، ولاسيما أن التحرير يعني تضمينها أسماء آلهة من آلهة الطرفين كشهود، مما سيضمن تنفيذ بنودها.

ويستشف من الرسالة أن أدو نيراري لم يكن يتوقع حضور الملك بنفسه، لانهماكه بنشر أفكاره الآتونية التوحيدية الجديدة، أو لتخوفه من غدر خصومه من الكهنة خلال غيابه. ولذلك اقترح إرسال أحد مستشاريه لمساعدته في مواجهة الخطر الحثي، وكان الأهم لديه هو وصول القوات والعربات.

ولكن الرسالة لم تلق صدًى، كعشرات الرسائل التي أرسلها غيره من الحكام إلى أمحتب الرابع / أختاتون ؛ كما يتضح من رسائل أرشيف العمارنة. ولذلك كله اضطر، أو قرّر أدو نيراري التعاون مع الحثيين الذين عيّنوه ملكاً جديداً لبلاد نُحْشِي، بدلاً من شروبيشي الذي خيب آمالهم.

في هذه الأثناء كان عزيزو ملك أمورو الجديد في زيارة إلى مصر، وقد أوكل شؤون مملكته إلى أخيه وابنه اللذين قلقا للمستجدات المتسارعة، فكتبا رسالتين أرسلهما معاً، واحدة إلى عزيزو يطلبان منه العودة بسرعة إلى بلاده لازدياد الخطر الحثي، ويعلمانه بأن قوات حثية بقيادة قائد يدعى لُبكوّ عبرت البلاد (قبل شهور، بعيد سفره) ووصلت حتى بلاد عمقي واحتلت مدناً. ثم يتحدثان عن حرب حثية جديدة، يقولان له:

" أمرٌ ثانٍ، لقد سمعنا ما يأتي: زيتانا (القائد الحثي) جاء. وجاء معه تسعون ألف جندي من المشاة. ولكننا لم نتحقق من هذا الكلام بعد، (ولسنا متأكدين) إن كانوا موجودين هناك حقاً، ووصلوا إلى بلاد نَحْشِي؟" (EA 170, 19-27).

أما الرسالة الثانية فموجهة إلى توتو المندوب الملكي المصري، ويطلبان منه أن لا يؤخر عزيرو عن العودة، بل يدعه يأتي بسرعة "كي يحمي بلاد الملك"، ويقولان له:

" أمرٌ ثانٍ، إلى توتو سيدي: اسمع كلمات ملوك بلاد نَحْشِي. لقد قالوا لي: أبوك بعته مقابل ذهبٍ لملك بلاد مصر، فمتى سيتركه يعود من بلاد مصر؟! كما إن (حكام) جميع البلدان، وجميع (قادة) القوات السوتية^(٢٩) يقولون لي: لن يخرج عزيرو من بلاد مصر.

والآن، ها هم السوتيون ينهبون البلدان، ويعيرونني باستمرار (قائلين): أبوك موجود في بلاد مصر، لذا سنثير الحرب عليك،... رجاله. فاسمع يا توتو، سيدي، ودع عزيرو يأتي إلينا بسرعة... نَحْشِي... (أربعة سطور مفقودة)". (EA 169,16-44).

ما يهمننا في الرسالتين الملاحظات الآتية:

١ - كانت بلاد نَحْشِي تشكل منطقة المواجهة الأولى لدى تقدم الجيش الحثي، ويبدو أنها أضحت خلال عهد أدو نيراري مركز تجمع الجيش وانطلاقه. وإن كان ذلك طبيعياً من الناحية الجغرافية، فهو يعبر في الوقت ذاته عن إدراك وشعور بوحدة إقليمية لدى حكام سورية القديمة، رغم وجود التناحر الداخلي فيما بينهم، بين حين وآخر.

٢ - ضخامة الجيش الحثي المتقدم نحو سورية.

٣- إدراك أهمية شخصية توتو في البلاط المصري، ودوره الفاعل. وثمة ما يشير إلى أن توتو هذا كان شخصاً أجنبياً (غير مصري) بدأ حياته في القصر خادماً، ثم لم يلبث أن أصبح صاحب اليد العليا فيه. ويرى عبد الحليم نور الدين أنه كان أحد العوامل الهامة في انهيار الإمبراطورية المصرية، لأنه كان يخفي على الملك بعض ما تتضمنه الرسائل الواردة من الولايات الخاضعة للحكم المصري، بقصد تضليله (١٠).

٤- إن قول " اسمع كلمات ملوك بلاد نُخْشِي " يشكل أحد الشواهد على ما ذكرنا من تكون البلاد من كيانات عدة. كما إنه يشير إلى شعور بالحاجة إلى التعاون والسعي إليه، ولاسيما لدى ظهور الأخطار الخارجية.

٥- كانت القبائل البدوية في بادية الشام (السوتيون) تستغل الاضطرابات للقيام بأعمال نهب.

٦- ربما كانت الإهانة التي وجهها ملوك بلاد نُخْشِي في الرسالة الثانية، بأن غرض أمور من التحالف مع مصر وسفر الملك إليها هو الذهب، وكذلك السخرية في القول " متى سيتركه يعود... " رداً على إهانة موجهة إلى ملوك بلاد نُخْشِي بأنهم سلموا بلادهم للحثيين لتكون مسرحاً لجيشهم، أو ما يشبه ذلك.

صار شوبيلوليوما في مواجهة ملوك الممالك السورية كلها، وكان بينهم كثير من المرتبطين المواليين لميتاني، ولم يكن من السهل تبديل ولائهم فجأة. ولذلك ظهر بينهم تياران، من حيث الموقف من السيادة الحثية المرتقبة، ويظهر ذلك بوضوح في رسالة أرسلها أكيزي ملك قطنا إلى أمحتب الرابع (EA 53). حيث يبين أن حاكم قادش بات حليفاً للحثيين، واستمال حاكمي لابان ورخيزي، وهم يهاجمون ويحرقون بلاد أب (دمشق)، أما المواليون لميتاني ومصر فقد فقدوا الأمل في مساعدة من سيدهم ملك ميتاني، ويتطلعون إلى النجدة والعون من مصر. يقول:

"يا سيدي! كما أحبُّ أنا الملك، سيدي ؛ كذلك ملك بلاد نُخْشِي، وملك بلاد نِيَا، وملك بلاد سَنْزَر، وملك بلاد تَنْبَب. هؤلاء الملوك كلهم خدم موالون لسيدي". (EA 53,40-44).

ويختم رسالته بالتنبيه إلى أن سقوط دمشق سيعني انقراض عقد المناوئين للحثيين، ولكن وصول الدعم العسكري المصري كفيل بمنع حصول ذلك.

في تلك الأثناء عاد عزيزو ملك أورو إلى بلاده، ووجد وضعاً جديداً تماماً، وأدرك أن السيادة الحثية حاصلة عما قريب، ولاسيما أنه كان قد رأى بعينه الأوضاع الجديدة في البلاط المصري، التي لا تبشر بخيرٍ لممالك بلاد الشام، بسبب صراع كهنة آمون مع أخناتون، وانصراف الملك عن الاهتمام بالشؤون الخارجية. ولذلك غير عزيزو موقفه بسرعة، وراح يتعاون مع ملك كَنْزَا / قَادَش، ويحاول أو يخطط لتوسيع نطاق مملكته في أراضي ممالك مجاورة في الشرق (نيا، تونيب) والجنوب (جُبْلا).

احتل عزيزو نيا، ثم تونيب، ولم تُعدَّ هناك مملكة تفصله عن نُخْشِي التي يستقر فيها جيش شوبيلوليوما، ولم يكن ملكها أدو نيراري إلا ملكاً شكلياً. وكان عزيزو مراوغاً، يفاوض الحثيين، ويرسل في الوقت ذاته رسائل ولاء إلى مصر يؤكد فيها للملك أنه يحمي بلاد الملك، ولكن "ملك بلاد الحثيين موجود في بلاد نُخْشِي، وأنا خائف منه. ربّما يأتي ويحتل بلاد الملك، سيدي. ولذلك - بسبب هذه الأحداث - سأبقى حتى يرحل ويعود إلى بلاده" (EA 165,18-24).

ثم يقول له: "هو موجود الآن في بلاد نُخْشِي. والطريق إلى مدينة تونيب لا يستغرق سوى مسير يومين فقط. ولذلك أنا خائف من هجومه على مدينة تونيب. لئيه يرحل. أمرٌ ثانٍ، سيدي ! لا تصغ إلى الواشين. أنا وإخوتي وأبنائي خدم الملك سيدي إلى الأبد" (EA 165,38-45).

وبذلك لم يبق حليف قوي لمصر في سورية، غير أكيزي ملك قطنا الذي كان يتابع عن كثب ما أحدثه تصرف عزيرو الذي اتفق مع الحثيين، وسيطر على منطقة واسعة (بين وادي العاصي الأوسط، والبحر المتوسط) بينما سيطر الحليف الحثي الآخر ملك قادش - ومعه حلفاء صغار - على مناطق جنوبي قطنا، حتى دمشق وسهل البقاع. وبذلك أضحى أكيزي محاصراً. وقد واجهت قطنا خلالها أول حملة حثية مشتركة مع قوات عزيرو.

وبذلك انتهت أحداث الفترة التي تعرف في البحوث بـ " الحرب الحثية - السورية الثانية " بعد أن دامت نحو ثلاث سنوات (نحو ١٣٤٢-١٣٣٩ ق.م). ويلاحظ فيها بوضوح أن الدور الحثي فيها اعتمد بشكل أساسي على التخطيط والتوجيه والدعم العسكري، بينما كان السوريون هم المتحاربون والضحايا. أما بلاد نُخْشِي فقد احتلها الجيش الحثي، وانتشر فيها، وجعلها منطقة لعملياته. ولم يكن أدو نيراري الذي نصبوه ملكاً على البلاد قادراً على التصرف بغير إدارة الشؤون الداخلية، والتنسيق مع المحتل، وبين الزعامات المختلفة في البلاد. وسيوضح لنا بعد قليل أنه لم يكن مقتنعاً وراضياً بذلك.

تكللت تلك الحرب والجهود المتميزة لعزيرو ملك أمورو بتوقيع معاهدة تبعية مع الملك الحثي شوبيلوليوما الأول، في نحو ١٣٣٩ ق.م. وقد كشفت التنقيبات الأثرية في العاصمة الحثية ختوشا عن نص المعاهدة مدوناً باللغتين الحثية والأكدية، بشكل منفصل (٣١).

يرد في المعاهدة الحديث عن مملكة نُخْشِي ضمن سياق مراجعة أحداث تاريخية قريبة العهد، حيث يذكر شوبيلوليوما أسماء البلدان التي ناصبته العداء آنذاك، وهي: مصر، ميئاني، أشتاتا، نُخْشِي، نيا، كنزا، موكيش، حلب، كركميش. ثم يقول: " ولكن

عزيرو ملك أمورو جاء إليّ من بوابة إقليم النفوذ المصري، وصار تابعاً لجلالتي، أنا ملك بلاد ختّي".

كما تذكر نَحْشِي كمملكة حليفة "صديقة" - فيما بعد - ضمن البند الذي يفرض على أمورو التعاون العسكري مع الجيش الحثي في حملاته إلى بلاد الأعداء، أو إلى بلاد أصدقاء قد يتحولون إلى أعداء، ويلزمها بمبدأ "سيكون صديقي صديقك، وعدوي عدوك"؛ كما جاء في النص.

وكذلك تذكر نَحْشِي في البند الذي يفرض على أمورو الالتزام باعتقال الأسرى الهاربين من بلاد ختّي وإعادتهم إليها.

حاول الملك الميتاني دعم نَحْشِي، وخطط مع ملوكها، أو مع أحدهم لتحرير مناطقها، وحقق نجاحاً في البداية، ووصلت قواته حتى مناطق النفوذ المصري - من قبل -، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ ردتته القوات الحثية على أعقابها (٣٢).

ثم اتبع ملك نَحْشِي أدو نيراري، وربما ملك آخر فيها، خطوة جديدة مفاجئة، إذ اتفق مع ملك موكيش، ثم انضم إليهما ملك نيا، وشكل تحالفاً مضاداً للحثيين، بدعم ميتاني. وأدركت أطراف التحالف أهمية أوجاريت في تشكيل طوق في وجه الجيش الحثي، وبدأت تحاول استمالة أوجاريت ودفعها إلى التخلي عن علاقاتها مع الحثيين، ولكن نقمادو الثاني ملك أوجاريت (نحو ١٣٥٣-١٣١٨ ق.م) لم يظهر أية استجابة، فقامت قوات التحالف المذكور بالتقدم نحو أراضي أوجاريت.

ويبدو أن الحثي شوبيلوليوما استنفر أيضاً تحالفاً مالياً له وبقيادته، وكتب إلى نقمادو رسالة يقترح عليه التحالف معه، ويطلب منه ألا يخاف منهم وأن يكون واثقاً من نفسه، ويقول له:

"الآن، يا نقمادو، أيد الميثاق والتحالف الذي (شكّلته) بلاد ختّي. وبعد ذلك سترى ما سيفعل الملك العظيم بهم؛ (أعني) ملوك بلاد نُخْشِي، وملك بلاد موكيش الذين تخلوا عن الميثاق والتحالف الذي (شكّلته) بلاد ختّي، وصاروا معادين للملك العظيم، سيدهم... وإذا الملوك كلهم أرسلوا جنداً لتهب بلادك، فلا تخشهم يا نقمادو".
(RS.17.132,19-27(PRU IV 36))

ثم يطلب منه جواباً يرسله مع رسول يأتي إليه بسرعة، ليعرف ماذا ينوي نقمادو فعله. يقول له:

"وإن تهاجم يا نقمادو بأسلحتك جنداً بلاد نُخْشِي، أو جند بلاد موكيش، وتسبقتني، فلا تدع أحداً ينتزعهم من يدك. وإن يدخل جند من بلاد نُخْشِي، أو جند من بلاد موكيش إلى وسط بلادك، بصفة رجال فارّين، وهو محتمل، فلا تدع أحداً يأخذهم من يدك".
(RS.17.132,35-43(PRU IV 36f.))

وثمة نص آخر من أوجاريت يمثّل اتفاقاً بين الملكين بعد أن رفض نقمادو التحالف مع نُخْشِي وموكيش. وقد فرض شوبيلوليوما فيه تقديم جزية سنوية ضخمة، وهدايا فصلت في ذكرها (ذهب، صوف، أثواب...)، وذلك للملك وولي العهد والموظفين الملكيين الكبار في البلاط الحثي. ويذكر آلهة شهوداً على الاتفاق (RS.17.727(PRU)
(IV40ff.)

لقد حدث الهجوم، كما يذكر نص معاهدة فرضها شوبيلوليوما على نقمادو، إذ جاء في مطلعها ما يأتي: "عندما كان إتور أدو ملك بلاد موكيش، وأدو نيراري ملك بلاد نُخْشِي، وأجيت تشوب ملك مدينة نيا، معادين لسلطة إله الشمس، الملك العظيم، سيدهم، جمعوا قواتهم، واحتلوا مدناً في قلب بلاد أوجاريت، وهجموا على سكان بلاد أوجاريت، وأخذوا رعايا نقمادو ملك بلاد أوجاريت أسرى، وخرّبوا بلاد أوجاريت. عند ذلك كتب نقمادو ملك بلاد أوجاريت إلى شوبيلوليوما، الملك العظيم،

قائلاً: " ليت إله الشمس، الملك العظيم، سيدي، يخلصني من يد الأعداء... (٣٣). (RS 17.340,2-11)

استجاب شوبيلوليوما لطلبه، وأرسل جيشاً طرد أعداءه من وسط بلاده. وتقديراً لذلك منح نغمادو الملك هدايا ثمينة، وسار إلى مدينة ألالاخ للقاءه، وقبل بمعاهدة التبعية التي أوردنا مطلعها، وقد تضمنت الحديث عن ثلاثة موضوعات (وضع الفارين، الحدود، إعلان حالة السلم بين البلادين). (RS17.340+369).

نرجح - اعتماداً على مجرى الأحداث - أن المعاهدة وقّعت في ١٣٣٧/١٣٣٨ ق.م. ويتضح اعتماداً على مصدر حثي أن نُخْشِي لم تكن قد خضعت للحثيين بعد. (GS II, 43).

انشغل شوبيلوليوما بعد ذلك مباشرة بتأديب ملك نيا (أجيت تشوب) ومدينة أرخاتي. ثم تفرغ لأمر نُخْشِي واحتلها كلها، ويبدو أن شرويشي ملك نُخْشِي كان ما يزال حياً في مدينة إكلزات التي كانت مركزاً مهماً في إحدى جهات مملكة نُخْشِي، ويعمل ضد المصالح الحثية. ولذلك حاربه شوبيلوليوما بشدة، وأجلى أسرته إلى بلاد الحثيين، وعيّن أحد خدمه المدعو تكيب شرّي مكانه (نحو ١٣٣٧ ق.م). أما أودو نيراري فقد اختفى ذكره، ولا يعرف مصيره.

انهارت مملكة ميتاني في نحو ١٣٣٠ ق.م، واحتل شوبيلوليوما مدينة كركميش (١٣٢٧ ق.م) واتخذها مركزاً عسكرياً أساسياً للإشراف على شؤون المناطق الجنوبية والشرقية. وجعل ابنه بيّشيلي (شرّي كوشوخ) حاكماً عليها، كما عيّن ابنه تلبينو في حلب المركز الديني الأساسي للإله الحوري تشوب، الذي عبده الحثيون أيضاً.

في ١٣٢٤/١٣٢٥ ق.م حصل تمرد في نُخْشِي على النفوذ الحثي، ولم يستطع ملكها تكيب شرّي تهدئة الوضع، فتدخل الملك الحثي - الذي كان في أواخر حياته -، وقمع التمرد، واستبدل الملك بملك جديد، يدعى تيتي الذي لم يكن يمت بصلة نسب إلى

الملوك السابقين. وفرض عليه - كملكي أمور و أوجاريت - معاهدة تبعية هي الوحيدة المتعلقة بهذه المملكة.

كشف عن نص المعاهدة في العاصمة الحثية خنوشا، وهو مدون باللغة الأكديّة على ستة رُقْم طينية^(٣٤). تتألف المعاهدة من مقدمة تاريخية تتضمن التذكير بأحداث قديمة حصلت في نُخْشِي، ثم تتوالى البنود التي تفرض على تيتي أن يقدم الجزية السنوية خلال زيارة شخصية، وأن يكون في المستقبل "صديق صديقي، وعدو عدوي" ويتعاون في الحروب ضد الخصوم.

كما يحذره شوبيلوليوما من التردد أو الخيانة، ويلزمه باستقبال القوات الحثية وحمايتها، وتسليم الفارين واللاجئين. وتختتم المعاهدة بذكر أسماء مجموعة كبيرة من الآلهة، بلغ عددها نحو مئة، تشهد على المعاهدة، وستحمي تيتي إن التزم بما جاء فيها.

إنها معاهدة دولية مفصلة، تُعدّ أنموذجاً متكاملًا من معاهدات التبعية - المتميزة عن معاهدات التكافؤ - التي كان الحثيون يفرضونها على الممالك الخاضعة لسيادتهم؛ وذلك من حيث بناء المعاهدة، وأسلوبها اللغوي والتعبيري، ومضمون بنودها (الجزية السنوية، الزيارة السنوية، التعاون العسكري، تسليم السجناء والفرارين...).

في السنة التالية (١٣٢٣ ق.م) مات شوبيلوليوما الأول، ولكن تيتي ظل يحكم خلال عهد خليفه أرنو ونُدا الثاني الذي دام فترة قصيرة (١٣٢٢-١٣٢١ ق.م) والعقد الأول من عهد مورشيلي الثاني (١٣٢١-١٢٩٥ ق.م).

٤ - نُخْشِي تحت السيادة الحثية (١٣٢٢ - ١٣١٠ ق.م):

خضعت نُخْشِي للسيادة الحثية تماماً، حيث كان يحكمها تيتي بأمر من شري كوشوخ نائب الملك المستقر في كركميش التي أضحت بمنزلة العاصمة الثانية التي تشرف

على شؤون الكيانات السياسية في سورية. وقد فوّضه الملك بذلك، وتفرّغ لإدارة الشؤون الداخلية والعسكرية ضمن مملكته في بلاد الأناضول.

لا نعرف أخباراً عن نُخْشِي خلال فترة حكم أرنوندا القصيرة. أما في عهد مورشيلي فثمة أحداث كثيرة شبه متواصلة حصلت في بلاد نُخْشِي، بين عاميه السابع والتاسع (١٣١٤-١٣١٢ ق.م).

تحدث حوليات الملك مورشيلي الثاني عن تمرد سكان بلاد نُخْشِي على الحكم الحثي في عامه السابع، ولكن أسباب التمرد ومجرياته غير واضحة، بسبب تهشم العمود الأول من تلك الحولية. أما العمود الثاني فيتضمن ما يشير إلى التمرد. جاء فيه (٣٥):

(١) هذا.....

(٢) والسجينَ رجلَ نُخْشِي

(٣) سَلَمْتُهُ لِأَخِي. وَلَكِنْ أَخِي تَرَكَهُ يَعودُ إِلَى زَوجَتِهِ وَأَطفَالِهِ،

(٤) (مع أنه) كان يتوجب عليه أن يقوده، مع زوجته وأطفاله، إلى مدينة ختوشا.

والمقصود أن مورشيلي كان قد عهد إلى أخيه (شري كوشوخ، حاكم كركميش) أمر سجن زعيم نُخْشِي متمرد ثم نقله إلى العاصمة. ولكن الأخ خالف، أو أهمل أمره، وأطلق سراح المتمرد. ولعل في ذلك إشارة إلى أن التمرد كان قد قُمع وسُجن زعيمه، ولكن تصرف أخيه قاد إلى ظهوره ثانية.

ونعلم من وثيقة اكتشفت في أوجاريت ((PRU IV 54f.) RS 17-334) أن شري كوشوخ انتهج سياسة مخالفة في ردع نُخْشِي، إذ تراسل مع نقمادو الثاني ملك أوجاريت، واقترح عليه التحالف العسكري لمواجهة تبتي ملك نُخْشِي، والطريف أن مرسل هذه الوثيقة إلى أوجاريت هو إني تشوب حفيد شري كوشوخ، ولعله وجد النسخة الثانية من الوثيقة - التي كانت تحفظ عادة لدى المرسل، في حال الوثائق

المهمة - في قصره، فأمر بإعادة كتابتها، وختمها من جديد بختمه وأرسلها إلى ملك أوجاريت (نقميا)، كاقترح جديد للتحالف، على غرار ما كان قد تمّ بين جدّه وجدّ نقميا.

جاء في تلك الوثيقة:

هكذا يقول الملك: عندما أعلن ملك بلاد نُخْشِي الحرب عليّ، كتبتُ إلى نقمادو ما يأتي: إن تشنّ الحرب على تيتي، ولا أكون قريباً من بلاد نُخْشِي بعد، فعليك، يا نقمادو، أن تهاجم وتواجهه، أن تهاجم وسط بلاد تيتي. ولنقمادو أن يأخذ من بلاد نُخْشِي ما يشاء من أسلحتها.

وأما ما يتعلق بالذين يدخلون إلى بلاده كفارين، فإن طالب تيتي في الأيام المقبلة بعبده، فعلى نقمادو ألا يعيد أحداً منهم.

إن لم يرغب نقمادو في شنّ الحرب على تيتي، ولا ينفذ الكلمات التي قلّتها، فعليه أن يعيد (جواباً على) أوامر هذا الرقيم إليّ.

هذا الرقيم هو مما كان جدي الملك قد ختمه، وصار مهتماً. الآن ختمه إني تشوب الملك ثانيةً.

إن قيام هذا التحالف كان بمنزلة تطويق لنُخْشِي. وبات شري كوشوخ مطمئناً على أن تيتي لن يجرؤ على إثارة تمردات على الحثيين أو السماح بها ثانية، وربما يكون إطلاق سراح المتمرّد النُخْشِي تعبيراً عن حسن النية والرغبة في طي صفحة الماضي.

ولكن لم يمر وقت طويل حتى ظهر تمرد جديد قاده تيتي وبل أورتا على السيادة الحثية، بعد موت شري كوشوخ مباشرة. وقد كشف في العاصمة الحثية عن وثيقة (KBo III 3) تعرض أسبابه وأحداثه، إذ تذكر أن جدّ أبي رداً ملك مدينة برّجا كان قد

احتل مدينة يَرُوتَا، بدعم الملك الميتاني شترنا الثاني (١٣٨٠-١٣٦٥ ق.م)، وسلمَ حكمها إلى شروبيشي ملك نَحْشِي، ثم آلت إليه بعد ذلك.

((الآن ؛ تمرد تيتي وبل أورتا، وانتزعا مدينة يَرُوتَا من أبي ردا حليف الحثيين، وصار بل أورتا حاكماً عليها، فسافر أبي ردا بسرعة إلى العاصمة الحثية طلباً للمساعدة في استعادة المدينة، و"لو كانت فارغة"))^(٣٦)، واستغل الفرصة لنقل أخبار مثيرة عن تيتي وأعماله تحريضاً عليه.

لم يظهر مورشيلي الثاني استجابة سريعة لانهماكه بمشكلات داخلية، ثم قرر تفادي الدخول في صراع جديد، وإرسال حملة عسكرية إلى نَحْشِي، ولذلك سعى إلى إيجاد حل بالوسائل السياسية، فقرر الاستعانة بأناس من أسرة تيتي طالباً إزاحته لتعود الأوضاع، كما كانت. وأصدر مورشيلي قراره التالي:

"يجب أن تُعطى مدينة يَرُوتَا لأبي ردا، إذا ما اضطرت حملة عسكرية حثية إلى انتزاعها من سلطة تيتي، وتهجير سكانها، ونهبها. ولكنها ستظل تابعة لنَحْشِي (لن تعاد لبرجا) إن يُقتل تيتي بيد ابنٍ أو أخ له، أو يُسلم إلى مورشيلي".

بقية النص مهشمة، ولذلك لا نعرف النتيجة، ولكن وثائق حثية أخرى تفيد بأن مورشيلي كلف القائد العسكري كَنْتوزيلي بقيادة حامية عسكرية من كركميش لإلحاق الهزيمة بأهل نَحْشِي. كما طلب منه أن يوافيه بخبرٍ عن حقيقة ما يروى عن وجود قوات مصرية هناك، وإذا ما كان ذلك صحيحاً فإنه سيسير بجيشه الرئيس إلى نَحْشِي (KUB XIV 17).

يتعاصر هذا الحدث مع العام ١٢/١١ من حكم حورمحب في مصر (١٣٢٣-١٢٩٥ ق.م)، وقد كان هذا الملك بدأ باستعادة الاهتمام المصري العسكري بالممالك السورية، بعد إهمال دام أكثر من قرن، منذ مطلع حكم أمنحتب الثاني. وي طرح كَنْجَل إمكانية

الدعم المصري لثورة نيتي، ولاسيما أن وثائق حثية تذكر نيتي ومصر في سياق واحد (GS II , 52).

ويبدو أن أسرة نيتي أدركت خطر الموقف، فثار عليه أحد أخوته، وأزاحه، وأخضع نفسه للسيادة الحثية (KUB XVI 41)، وربما قتل نيتي آنذاك.

وتذكر الوثيقة (KBo III 3) شخصين - بعد ذلك -، هما شوميثا وخويا، ويرجح أن الحثيين عينوهما على حكم نُخْشِي وبيروتا. ثم تنتقل إلى الحديث بشكل مفصل عن طبيعة العلاقات التي يجب أن تكون بين الشخصين.

كانت مملكة أمورو آخر مملكة ذات شأن يفرض الحثيون فيها سيادتهم من جديد، وفرض مورشيلي معاهدة جديدة على ملكها الجديد دوتّي تشوب في مطلع حكمه (١٣١٢-١٢٩٠ ق.م)^(٣٧). وقد تم الحديث في مقدمتها عن نيتي وأسلافه العفيرين (الخبير)، وعن جماعة، وربما قبيلة، تدعى نَمْرًا يأمر مورشيلي بضرورة تسليمهم إلى الحثيين إن فرّوا من نُخْشِي إلى أمورو، ويذكر مورشيلي ذلك في معاهدته مع نقميا ملك أوجاريت أيضاً^(٣٨).

انتهى الصراع الحثي مع نُخْشِي بإخضاعها تماماً. ولا تتحدث المصادر التالية عن نُخْشِي ككيان سياسي، بل تذكر الاسم بدلالته الجغرافية فحسب. ويبدو فيها بوضوح أن حلب أضحت المركز الديني والسياسي في شمال سورية.

تفيد النصوص التي تناولت أحداث معركة قادش التاريخية بين الملكين المصري رمسيس الثاني، والحثي مواتلي (١٢٧٥ ق.م) أن بلاد نُخْشِي كانت ضمن حلفاء الحثيين (BAR III p.138)، ولكن ثمة نصوص تالية يرد فيها ذكر حلب بدلاً من نُخْشِي، كالنص الذي يذكر حلفاء الحثيين الذين وقفوا ضد رمسيس الثاني في خضم المعركة (BAR III p.141). وبين الأعداء المهزومين كان "زعيم حلب اللعين الذي عاد إلى الطرف الآخر مع جنوده، بعد أن رماه سيادته (رمسيس الثاني) في الماء

بقوة" (BAR III p.154) كما كانت حلب، لا نَحْشِي، ضمن القوى السياسية التي شهدت توقيع معاهدة السلام المصرية - الحثية، بين رمسيس الثاني وختوشيلي الثالث في ١٢٥٩ ق.م. (BAR III p.171).

خاتمة:

شهدت ممالك بلاد الشام حملات مصرية عدة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ق.م، وصلت إلى وادي الفرات، وشكلت خطراً على مملكة ميتاني في الجزيرة وشمال سوريا. ثم هدأت الأوضاع بعد تحالف القوتين، فأضحت أراضيها واقعة - بشكل مقسم - تحت النفوذ أو الانتداب الميتاني والمصري، ونعمت بالاستقرار والازدهار؛ بدءاً من مطلع القرن الرابع عشر ق.م. ولم تظهر فيها نوازع استقلالية حتى أواسط القرن الرابع عشر ق.م؛ حيث بدأت ميتاني تسير نحو الانهيار، وغاب الاهتمام المصري بها.

وفي تلك الفترة الانتقالية الحرجة جوبهت بقوة كبرى ثالثة، تنهض من جديد، وتتحرك بقوى عسكرية ضخمة بهدف إخضاع المناطق السورية المختلفة؛ أعني المملكة الحثية الحديثة.

لم يكن بمقدور تلك الممالك مواجهة الخطر الحثي فرادى، كما لم تتفق على تشكيل تحالفات واسعة قوية ضده، بل ساد فيها الشعور بأن تتدبر كل مملكة أمرها، وتدافع عن وجودها وأراضيها وحدها.

وكان عدد من تلك الممالك - ولاسيما الشمالية والوسطى - ما يزال متأثراً بغلبة الروح القبلية التي تأصلت فيها قبل ذلك بقرون، منذ عهود الممالك الأمورية، مثل ماري وقطنا، وحلب، وموكيش (الألاخ). كما لم تكن تمتلك جيوشاً منظمة، بل تستنفر السكان للحرب لدى الحاجة، بشكل آني.

لقد كانت مملكة نُخْشِي ذات الإطار الجغرافي الأوسع بينها أبرز الممالك التي تُعددت في أرجائها الزعامات القبلية، وتحالفت تحت راية الزعيم الأبرز. ولذلك تحدثت النصوص الكتابية عن "ملك نُخْشِي" أحياناً، و"ملوك نُخْشِي" أحياناً أخرى.

لم تستقر مملكة نُخْشِي دون حليف قوي تستند إليه. وكان ذاك الحليف هو مملكة ميتاني أولاً، ثم المملكة الحثية ثانياً، وذلك بعد مرحلة صراع انتقالية شهدت محاولات استقلالية غير مجدية.

وعلى الرغم من أن المصادر المتوافرة توضح خيوطاً أساسية مهمة لتاريخ المملكة وتحدياتها والتحويلات فيها؛ فإنه يظل ناقصاً، لأن تلك المصادر لا تمثل ما ذكره النُخْشِيُّون أنفسهم عن الأحداث، بل هي كتابات غيرهم. ولذلك فإن الكشف عن العاصمة نُخْشِي، أو عن مدن أخرى ضمن إطار المملكة، سيزيد بالتأكيد معارفنا عن تاريخها السياسي، وكذلك الحضاري الذي نجعله.

ولعله من المؤسف أن التلال الأثرية الكثيرة الموجودة في إطار نُخْشِي لم تلق اهتماماً بعد، إذ لا تجري تنقيبات في غير تلال معدودة منها، أبرزها تل طوقان الذي يمكن أن يكون نُخْشِي أو يَرَوْتَا، وتنقب فيه منذ سنوات بعثة إيطالية بإدارة الباحثة ستيفانيا مازوني Stefania Mazzoni، ولم تسفر الأعمال عن كشف وثائق كتابية بعد. كما يمكن أن يكون تل أم المره الذي تنقب فيه بعثة أمريكية بإدارة الباحث جلن شوارتز Glenn Schwartz من مدن مملكة نُخْشِي المهمة أيضاً.

هوامش البحث

(١) نجد في معظم البحوث التي تعرّف بمجموعة رسائل العمارنة أنها تصفها — "رسائل متبادلة". ولكن الحقيقة هي أنها لا تضم سوى عشر رسائل (من أصل ٣٥٠) مرسله من مصر، والنسخ المكتشفة هي النسخ الثانية التي كان البلاط الملكي يحتفظ بها. أما بقية رسائل المجموعة فمرسله إلى مصر. ولذلك نعتقد أن وصفها بالمتبادلة غير دقيق. راجع الكتابين:

Knudtzon. J.A: Die El-Amarna-Tafeln.

J.C.Hinrichssche Buchhandlung , Leipzig , 1915.

Moran , W.L: The Amarna Letters. The Johns Hopkins Uni. Press, Baltimore and London ,1992.

(٢) يحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بخمسين رقيماً من مجموعة تل العمارنة، في حالة كاملة أو ناقصة. وقد قمنا بتدقيقها وتصويرها في أيلول ٢٠٠٨م، وذلك بموافقة كريمة من د. زاهي حواس رئيس المجلس الأعلى للآثار، و د. وفاء الصديق مديرة المتحف المصري. وهو عمل يتم ضمن إطار قياسي بإعداد كتاب تنشر فيه مراسلات العمارنة كاملة باللغة العربية.

(٣) إسماعيل، فاروق: أخبار دمشق وبلاد أب في مراسلات العمارنة. الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ٤٥/٤٦، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ص ٦٧-٨١.

(٤) برايس، تريفور: رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم. ترجمة رفعت السيد علي، ط١، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢١.

(٥) مونتو إله (مصري قديم) ذو رأس صقر، يتوجّها قرص الشمس أو ريشتان. كُلف خاصةً بحماية الآلهة والملوك من أعدائهم، وقد يُمائل مونتو بإله الحرب. راجع:

- تیبو، روبیر جاك: موسوعة الأساطیر والرموز الفرعونية. ترجمة فاطمة عبد الله محمود. ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣١٧.
- (٦) إسماعیل، فاروق: أخبار دمشق وبلاد أب فی مراسلات العمارنة، ص ٦٩.
- (٧) **Hachmann , R:** Die ägyptische Verwaltung in Syrien während der Amarnazeit. ZDPV 98 , 1982 , 17 ff.
- (٨) العفیرون (الخبیرو) مجموعات من المرتزقة، كانت موجودة فی مناطق مختلفة من شمالي بلاد الرافدين وبلاد الشام، لعبت دوراً متميزاً فی الأحداث السياسية خلال عصر العمارنة. راجع رسالة الماجستير: سما أبو صالح: **الخبيرو في النصوص الأكديّة - جامعة حلب ٢٠٠٨م** (غير منشورة).
- (٩) مري، مرجريت: **مصر ومجدها الغابر**. ترجمة محرم كمال. ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦٤.
- (١٠) عن تاريخ الحوريين؛ راجع:
- فیلهلم، جرنوت: **الحوريون تاريخهم وحضارتهم**. ترجمة وتعليق فاروق إسماعیل، ط١، دار جدل، حلب، ٢٠٠٠. وانتبه إلى أن الكتاب يعتمد المنهج القصير فی التأريخ.
- (١١) عن تاريخ الحثيين؛ راجع:
- جرنی، أ.ر: **الحثيون**. ترجمة محمد عبد القادر محمد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- إسماعیل، فاروق: **الحثيون وحملاتهم على سورية**. دراسات تاريخية ٨١-٨٢ (٢٠٠٣)، ص ٣-٣٥.
- Cornelius , F: Geschichte der Hethiter. WBG , Darmstadt, 1990.

(١٢) عن تاريخ بابل خلال الحكم الكاشي، راجع:

Klengel , H.: Kulturgeschichte des alten Vorderasien. Akademie-Verlag ,
Berlin 1989 , p. 308 ff.

(١٣) عن تاريخ الآشوريين؛ راجع:

كانجيك - كيرشباوم، ايفا: تاريخ الآشوريين القديم. ترجمة فاروق إسماعيل،
ط١، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٨.

(١٤) تختلف البحوث في وصف تلك الكيانات (ممالك، إمارات، ولايات، دويلات..). فالقول بأنها ممالك، بناءً على تلقّب حكامها بلقب (ملك، Šarru في الأكديّة) يصطدم بأن ذلك يجعلها كالممالك الكبرى (ميتاني، مصر، ختّي)، وهي لم تكن كذلك، بل محدودة المساحة والقوة، ومتعدّدة على غرار دويلات المدن السومرية في الألف الثالث ق.م. ولم يكن حكام جميعها يحملون هذا اللقب، بل كان هناك من يحمل لقب (حاكم مدينة، hazannu في الأكديّة)، وآخرون يحملون لقب (رجل أو زعيم، amelu في الأكديّة)، وكان الأخير شائعاً - بشكل خاص - في بلاد كنعان (فلسطين).

ومن ناحية ثانية؛ نجد أن حكامها كانوا يركزون في علاقاتهم بالممالك الكبرى على وصف أنفسه بالولاء، وبذلك تناسبها صفة الولايات الواقعة تحت انتداب قوة كبرى. ولذلك فإن تسميتي "ممالك، ولايات" مقبولتان، مع أخذ ما ذكرناه بعين الاعتبار.

(١٥) راجع بحثنا المسهب "الأشيا (جزيرة قبرص) في المصادر الأكديّة"، المقبول للنشر في مجلة "دراسات تاريخية"، جامعة دمشق.

(١٦) راجع بحثنا "جزيرة أرواد في النصوص الكتابية المسمارية"، المقبول للنشر في مجلة "دراسات تاريخية"، جامعة دمشق.

Edel, E: Die Ortsnamenlisten aus dem Totentempel Amenophis (١٧)
III. Peter Hanstein Verlag , Bonn , 1966 , 1 ff.

(١٨) يشير كلنجل (GS II 20) إلى أن الأصل اللغوي للاسم نخشي حوري،
وينتهي مثل كثير من الأسماء الحورية باللاحقة še.

(١٩) نرجح أن تكون المدينتان الأخريتان (ب ر ج، ت ن ن ب) مدينتين
حدويتين مع بلاد نُخْشِي.

فالأولى ب ر ج هي برجا التي تذكر في نصوص إيلا والنصوص الحثية، أما
في النصوص الأكديّة (البابلية الوسطية) فيقتصر ذكرها على شاهدين من
العمارنة وأجاريت، وكان فيها "ملك".

طابقها باحثون مع موقع برقون (نحو ٣٥ كم جنوب غربي حلب). ويرى
كلنجل أنها في الاتجاه نفسه، ولكن قد تكون أقرب إلى وادي العاصي (شمال
شرقي أفاميا)، وهو يعتمد في ذلك على صلتها بالوادي، كما يتضح من
المصادر الحثية، وهو أمر لا يمكن تجاهله، ولذلك نرجح رأيه. راجع:
RGTC 12/2,52.

أما الثانية ت ن ن ب فهي تُتَنَّب التي تذكر في المصادر الحثية، أما في
النصوص الأكديّة (البابلية الوسطية) فيقتصر ذكرها على شاهدين من
العمارنة وإيمار، كما تذكر في نص أوجاريتي أبجدي. يرجح مطابقتها مع
موقع دُنْيِيَه شمال شرقي قطنا (تل المشرفة). راجع: RGTC 12/2 , 293.

(٢٠) إسماعيل، فاروق: اللغة الآرامية القديمة. ط ١، منشورات جامعة حلب،
١٩٩٧، ص ٢٠٦.

(٢١) ذكر كلنجل أن الاسم يرد - أول مرة - في المصادر الكتابية المصرية التي
تعود إلى عهد تحتمس الثالث (١٤٥٨-١٤٢٥ ق.م)، على الرغم من أنه يذكر

أيضاً أن تلك المصادرة غير مؤكدة! (GS II, 33). وقد اتضح لي بعد تدقيق نقوش عهد تحتمس الثالث ؛ ولاسيما حولياته - أن ثمة خلطاً بين (ن ج س / نُخَشِّي) ومدينة أخرى يذكر اسمها في حوليات تحتمس الثالث عدة مرات بصيغة (ي / أن - ي - ج - ساً).

وتبين أن هذه المدينة تذكر في تقريره عن معركة مجدو (١٤٥٧/١٤٥٨ ق.م) مع مدن قرب بحيرة طبريا في فلسطين، مثل يَنوما (تل النعيم، جنوب غرب بحيرة طبريا) (RGTC 12/2,340)، بل توصف في تقريره عن الحملة التاسعة (١٤٤٦ ق.م) بأنها في منطقة جبلية مرتفعة ضمن بلاد زاهي (BAR II § 490). وكان زاهي اسم منطقة في القسم الجنوبي من سلسلة جبال لبنان الشرقية، حوالي جبل الشيخ. كما يتأكد موقعها هناك في تقريره عن حملته الثالثة عشرة (١٤٤٢ ق.م)، حيث يذكر أنه سار إلى إقليم أن - ي - ج - ساً وأخضع الحكام المحليين الذين يشرفون على الطريق المتجه نحو الشمال (BAR II § 507ff.).

ومن ثم فهي بكل تأكيد ليست نُخَشِّي (ن ج س) الواقعة بين حلب وحمّاء. وهي لم تذكر في تقاريره، على الرغم من أن تقرير الحملة الثامنة (١٤٤٧ ق.م) يذكر أنه وصل إلى صُمُر، ثم نيا في وادي العاصي، ثم سار نحو وادي الفرات ؛ حيث واجه الملك الميتاني وأرغمه على الهروب. وعندما عاد مرّ بمملكة نيا (قلعة المضيق) الموالية له. ويستدعي ذلك مروره ذهاباً وإياباً في مناطق نُخَشِّي، ولكنه لم يذكر شيئاً عن ذلك (BAR II § 477ff.).

أما الشاهد ن-ج-سُ المذكور في نص مسألة ممفيس، في الكرنك الذي يعود إلى عهد أمنتب الثاني (١٤٢٥-١٤٠١ ق.م) فالباحثون مختلفون في صحة نسبه إلى عهد أمنتب الثاني، وهو على الأرجح ليس اسم مكان، بل اسم دال

على فئة اجتماعية (GS II, 23) كما إن تقريره عن حملة عامه الثاني (١٤٢٤ ق.م) يذكر وصوله إلى نيا حليفته، وقمعه تمرداً ضد الحامية المصرية في مدينة إكتخي، ثم سيره إلى بلاد ميتاني، ولا يأتي على ذكر نُخْشِي (BAR II §487ff.)، بل يذكر مدينة تخسي (الواقعة جنوبي قادش، على العاصي)، ونبّه إلى ضرورة تمييزها عن نُخْشِي، موضوع هذا البحث.

(٢٢) فيلهم، جرنوت: الحوريون. تاريخهم وحضارتهم، ص ٤٥.

(٢٣) الترجمة لمؤلف البحث، عن كتاب قيد الإنجاز، بعنوان "مراسلات العمارنة الدولية".

(٢٤) منخ بيا هو صيغة أكديّة لاسم تحتتمس الثالث الملكي (من - خبر - رع). وهنا تبرز مشكلة أن الجد الحقيقي لأمنحتب الرابع هو تحتتمس الرابع ذو الاسم الملكي (من - خبرو - رع)، وهما الوحيدان ضمن ملوك الأسرة الثامنة عشرة، اللذان يبدأ اسمها بـ (من). راجع:

نور الدين، عبد الحليم: آثار وحضارة مصر القديمة. ص ٧١٧.

ولكن نظراً لأن المصادر لا تفيد بخبر أية حملة للأخير إلى داخل بلاد الشام، فيمكن الجزم بأن الأسبق هو المقصود، وكانت له حملات عدة إلى وسط سورية ووادي الفرات، كما بيّنا من قبل. ومن ثم فإن كلمة الجد (abi abika) أبو أبوك) في هذا السياق، وكما في شواهد أخرى ضمن مراسلات العمارنة، تدل على "السلف"، بشكل عام.

(٢٥) Beckman , G.: Hittite Diplomatic Texts. SBL, Vol. 7 , Scholars press , Atlanta, eorgia, second Edition 1999. p 94.

(٢٦) أرخ معظم الباحثين استلام شوبيلوليوما العرش الحثي بنحو ١٣٨٠ ق.م (التأريخ الطويل) مع أنه كان آنذاك أميراً يدير شؤون البلاد في ظل حكم أبيه.

ويرى فيلهلم وبوزه وموران وغيرهم أن ذلك يجب أن يعدل استناداً إلى حجج قوية، ليصبح ١٣٤٣-١٣٢٣/١٣٢٢ ق.م. ويتوافق هذا مع حروبه الأخيرة لدى انهيار مملكة ميتاني، وحصاره كركميش، واستلام رسالة الملكة المصرية بعيد موت زوجها توت عنخ آمون.

وقد لاحظنا أن ذلك يتوافق تماماً مع الأحداث التي حصلت في ممالك بلاد الشام، ومنها نخشي.

راجع مدخل الكتاب: Moran , W.L: The Amarna Letters. xxxviii.

(٢٧) إسماعيل، فاروق: الحثيون وحملاتهم على سورية، ص ٢٣.

(٢٨) يعتمد عرضنا لأهم أحداث عهد شوبيلوليوما على:

.Cornelius , F.: Geschichte der Hethiter. p 136 ff

(٢٩) السوتيون قبائل بدوية كانت تنتقل في أطراف بادية الشام الشمالية، وتعتمد في تأمين معيشتها على النهب، وخدمة القوافل التجارية، أو سلبها. يتردد ذكرهم في وثائق العمارة، وفي الوثائق المكتشفة في مواقع الفرات الأوسط.

(٣٠) نور الدين، عبد الحليم: تاريخ وحضارة مصر القديمة. بلا، ص ٢٠٨.

(٣١) إسماعيل، فاروق: معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (نحو ١٣٨٠-١٣٤٠ ق.م) مع الممالك السورية. مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، العدد ١١، ٢٠٠٨.

(٣٢) فيلهلم، جرنوت: الحوريون. تاريخهم وحضارتهم، ص ٧٥.

(٣٣) إسماعيل، فاروق: معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول.

(٣٤) إسماعيل، فاروق: المرجع السابق.

Goetze , A.: Die Annalen des Mursilis. Hethische Texte , Heft 6 (٣٥)
, 2. Edition , Darmstadt 1967. p. 82 ff.

Bryce , T: Tette and the Rebellions in Nuhassi. Anatolian Studies p. 21
ff.

(٣٦) ذهب كلنجل إلى أن أبي رداً صدّ هجوم بل اورتا، وأبعده عن البلاد، ثم سار
إلى ختوشا بسرعة للحصول على مكافأة من الملك الحثي (GS II 52). بينما
رأى كورنليوس أن أبي رداً أبعده عن البلاد، فسار إلى ختوشا طلباً للمساعدة
(Die Hethiter 190) ويبدو لنا الرأي الأخير أكثر قبولاً.

Beckman , G.: Hittite Diplomatic Texts, p59ff. (٣٧)

Ibid , p. 64ff. (٣٨)

جدول بأسماء المدن القديمة المذكورة في البحث، وأسمائها الحديثة أو موقعها العام

أشور: قلعة الشرفاء على دجلة، غربي كركوك	أب: البلاد التي كانت دمشق مركزاً لها
إكلزات: ؟ مدينة أساسية في مملكة نخشي	إبلا: تل مريخ، جنوب غربي حلب
الألاخ: تل عطشانه قرب منعطف العاصي نحو المتوسط	آخت آتون: تل العمارنة، بين المنيا وأسيوط
أمات: حماة	أربخا: كركوك، شمالي العراق
أمورو: البلاد التي كانت صُمُر مركزاً لها	أرخاتي: ؟ في منطقة حماة
أمورو (جبل) انظر: مارتو	أرزواو: بلاد حثية في الجنوب الغربي من بلاد الأناضول
اوجاريت: رأس شمرا، ٨ كم شمال اللاذقية	أرفاد: تل رفعت، نحو ٢٠ كم شمال حلب
أورو سليم: القدس	أرواد: جزيرة ارواد السورية
إيكاتي: ؟ مدينة ضمن مملكة نخشي	أشتاتا: البلاد التي كانت إيمار مركزاً لها
إيمار: تل مسكنه على الفرات، ٩٠ كم شرقي حلب	أشترت: تل عشتره، غربي أزرع، جنوب غربي دمشق
بابل: بابل، جنوبي بغداد	أشقلونا: عسقلان في فلسطين

خَزَّة: غَزَّة في فلسطين	برجا: ؟ في وادي العاصي الأوسط، حوالي أقاميا
خَلْب: حلب	بطرونا: البطرون، جنوب طرابلس اللبنانية
دمشق: دمشق	بيروتا: بيروت
رُخِيزي: ؟ في منطقة الهرمل بلبنان	تُنَيْد: ربما تل أحمدى - جنوب القامشلي
سنزر: قلعة سيزر على العاصي، شمالي غرب حماة	تُنَّب: ؟ قرب قطنا (تل المشرفة)
سيانو: تل سيانو، قرب جبلة بين اللاذقية وطرطوس	تونيب: ؟ تل العشارنة، أو موقع شمالي حماة
شكيم: نابلس في فلسطين	جارو: بلاد شملت الجزء الجنوبي من الجولان السوري
صُمُر: تل الكزل، قرب صافيتا السورية	جبل: جبيل، جنوب طرابلس اللبنانية
صوري: صور (لبنان)	جزري: تل جَزَر، شمال غرب القدس
صيدونا: صيدا (لبنان)	خازور: تل القدح، غربي بحيرة طبريا
عكّو: عكا (فلسطين)	خاني جَلْبَت: اسم آخر لبلاد الميتانيين، الجزيرة السورية
عمقي: سهل البقاع في لبنان	خَتّوشا: العاصمة الحثية بوغاز كوي، شرقي أنقره
قادش: تل النبي مند، جنوب غربي حمص	خَتّي: بلاد الحثيين، الأناضول
قطننا: تل المشرفة، ١٨ كم شمال شرق حمص	

<p>نهرينا: اسم آخر لبلاد الميتانيين نيا: سهل الغاب، في وادي العاصي الأوسط وشوكاني: العاصمة الميتانية، عند منابع نهر الخابور وعن: ؟ غربي حلب يرث و: ؟ يروثا: ؟ ربما تل طوقان جنوب شرقي إدلب. يمخد: البلاد التي كانت حلب مركزاً لها.</p>	<p>كركميش: جرابلس عند مدخل الفرات إلى سورية كنزا: البلاد التي كانت قادش مركزاً لها كومد: كامد اللوز، قرب راشيا في لبنان لايان: ؟ في منطقة بعلبك (لبنان) لاكيشا: تل الدوير، جنوب غربي القدس لعش: نُخْشِي (الصيغة الآرامية) مارتو: جبل البشري، بين دير الزور والرقّة ماري: تل الحريري، جنوب شرق دير الزور مجدو: تل المتسلم، شمال شرق طولكرم مصر: مصر موكيش: البلاد التي كانت ألالاخ مركزاً لها ميتاني: بلاد شملت الجزيرة السورية وطور عابدين نُخْشِي: بين حلب وحماة</p>
--	---

مراجع البحث

أ- المراجع العربية:

أبو صالح، سما: الخبيرو في النصوص الأكديّة - جامعة حلب ٢٠٠٨ (رسالة ماجستير غير منشورة).

إسماعيل، فاروق : اللغة الأرامية القديمة. ط١، منشورات جامعة حلب، ١٩٩٧.

الحيثيون وحملاتهم على سورية. دراسات تاريخية ٨١-٨٢ (٢٠٠٣)، ص ٣-٣٥.

أخبار دمشق وبلاد أب في مراسلات العمارة. الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ٤٥/٤٦، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ص ٦٧-٨١.

معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (نحو ١٣٨٠-١٣٤٠ ق.م) مع الممالك

السورية. مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، العدد ١١، ٢٠٠٨.

نور الدين، عبد الحلیم: آثار وحضارة مصر القديمة. ج١، ط٧، الخليج العربي

للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.

تاريخ وحضارة مصر القديمة. بلا.

ب- المراجع المعرّبة:

برايس، تريفور: رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم. ترجمة رفعت السيد

علي، ط١، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.

تیبو، روبير جاك: موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية. ترجمة فاطمة عبد الله

محمود. ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤.

جرني، أ.ر: الحثيون. ترجمة محمد عبد القادر محمد، ط١، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

فيلهم، جرنوت: الحوريون تاريخهم وحضارتهم. ترجمة وتعليق فاروق إسماعيل،

ط١، دار جدل، حلب، ٢٠٠٠.

كانجيك - كيرشباوم، إيفا: تاريخ الآشوريين القديم. ترجمة فاروق إسماعيل، ط ١، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٨.

مري، مرجريت: مصر ومجدها الغابر. ترجمة محرم كمال. ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

ج- المراجع الأجنبية:

Beckman , G. : Hittite Diplomatic Texts. SBL, Vol. 7, Scholars press , Atlanta, Georgia, second Edition 1999.

Belmonte Marin , J.A.: Die Orts und Gewässernamen der Texte aus Syrien im 2. Jt. v.Chr , Wiesbaden , 2001. [**RGTC 12/2**]

Breasted , J.H.: Ancient Records of Egypt. Chicago 1906. [**BAR**]

Bryce , T : Tette and the Rebellions in Nuhassi. Anatolian Studies.

Cornelius , F : Geschichte der Hethiter. WBG , Darmstadt, 1990.

Edel, E : Die Ortsnamenlisten aus dem Totentempel Amenophis III. Peter Hanstein Verlag , Bonn , 1966.

Goetze , A. : Die Annalen des Mursilis. Hethitische Texte , Heft 6 , 2. Edition , Darmstadt 1967.

Hachmann , R : Die ägyptische Verwaltung in Syrien während der Amarnazeit. ZDPV 98 , 1982.

Klengel , H. : Geschichte Syriens im 2. Jahrtausend v.u.Z. Teil²(Mittel-und syrien). Akademie-Verlag , Berlin 1969. [**GS II**]

_____ : Kulturgeschichte des alten Vorderasien. Akademie-Verlag , Berlin 1989.

Knudtzon. J.A : Die El-Amarna-Tafeln. J.C.Hinrichssche Buchhandlung Leipzig , 1915. [**EA**]

Moran , W.L : The Amarna Letters. The Johns Hopkins Uni. Press, Baltimore and London ,1992.

Nougayrol , J. : Textes accadiens des archives sud (Archives internationales) Paris 1956. [**PRU IV**]